سعد الدين الشاذلى

إعداد

صلاح عبد الحميد

مؤسسة دار الفرسان

للنشر والتوزيع

51 ش إبراهيم خليل – المطرية

اسم الكتاب :سعد الدين الشاذلى

المؤلف : صلاح عبد الحميد

الناشـر : مؤسسة دار الفرسان

تصميم الغلاف: صلاح عبد الحميد –

رقم الإيداع :14538 / 2011

طبعة أولى : 2011

فهرسة أثناء النشر

صلاح عبدالحميد ،

سعد الدين الشاذلى/ صلاح عبد الحميد – القاهرة .- ط1

مؤسسة دار الفرسان للنشر والتوزيع

128ص ؛ 24 سم

تدمك :-977-6169-57-0

1 – العسكريون المصريون

1- السياسيون العرب

2- الشاذلى سعد الدين

أ. العنوان 923و5

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا)

صدق الله العظيم

طه 114

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الماضي لا يماثل المستقبل ، الماضي شيء ، والمستقبل شيء آخر ، الماضي انتهى ، والمستقبل جاهز للتفصيل حسب المقاس الذي ترغبه

أنتوني روبنز

مصر بلدنا الحبيب ستظل فى قلب شعبك مهما كانت الظروف , سنظل نكافح من أجل أن نرفع أسمك علياً فى الأفاق , مر عليك شخصيات كثيرة أثبتوا لكى يا حبيبتى كم ضحوا من أجلك ، كم كانوا يزرعون الخير والحب والخير والنماء .

على ضفافك تعلمنا الكثير رأينا كم أنتى عظيمة بأرضك وخصوبتك مهما أختلف الزمان ، وجاء الوقت اليوم لنتسلم الراية من شخصيات أثرت وعمروا لنحافظ عليكى ونكمل المسيرة من أجل شئ واحد ألا و هو أنتى

ان شخصية سعد الدين الشاذلى من النوابغ التى أخرجتها مصر ... وأكبر من أن تقدرها الرواية .. فعلى مدى العصور السالفة .. نبغ بمصر عشرات العلماء والأدباء والسياسيين والمفكرين والقادة .. حتى فى مجال الحروب .. خرجت منها أساطير حفرت سجلا من ذهب فى ميادين القتال .. فى الحروب الساخنة .. والباردة على حد سواء ..

وان كنت أكتب عن بعض ما قام به سعد الدين الشاذلى فليس هذا حصرا لكل أعماله وبطولاته وانما هى أكثر من ذلك بكثير .

ان شخصية سعد الدين الشاذلى كان لها أثر كبير فى تحقيق نصر أكتوبر العظيم . وله أمجاد وبطولات كثيرة شهد له بها العدو قبل الصديق

المؤلف

من هو سعد الدين الشاذلي ؟

الفريق سعد الدين الشاذلي1(أبريل 10 - 1922 فبراير)2011، هو رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية في الفترة ما بين 16 مايو 1971 وحتى 13 ديسمبر .1973 ولد بقرية شبراتنا مركز بسيون في محافظة الغربية في دلتا النيل .يو صف بأنه الرأس المدبر للهجوم المصري الناجح على خط الدفاع الإسرائيلي بارليف في حرب أكتوبر عام.1973

أهم المناصب التي تقلدها

- مؤسس وقائد أول فرقة قوات مظلية في مصر (1954-1959)
- قائد أول قوات عربية(قائد كتيبة مصرية) في الكونغو كجزء من قوات الأمم المتحدة1960-1961()
- ملحق عسكري في لندن1961-1963( )
- قائد لواء المشاة (شارك في حرب اليمن)1965-1966) (
- قائد القوات الخاصة (المظلات والصاعقة1967-1969) ()
- قائد لمنطقة البحر الأحمر العسكرية1970-1971( )
- رئيس هيئة أركان القوات المسلحة المصرية1971-1973( )

- **سفير مصر في بريطانيا1975-1974( )**
- **سفير مصر في البرتغال1978-1975( )**

حياة سعد الدين الشاذلى العسكرية

الشاذلي قائدا للقوات العربية في الكونغو

التحق الشاذلي بالكلية الحربية في فبراير 1939 وكان عمره وقتها 17 سنة، وتخرج برتبة ملازم في يوليو 1940 ثم انتدب للخدمة في الحرس الملكي من 1943 إلى 1949 وقد شارك في حرب فلسطين عام 1948 ضمن سرية ملكية مرسلة من قبل القصر. إنضم إلى الضباط الأحرار عام.1951 أسس أول قوات مظلية في مصر عام .1954

- شارك في العدوان الثلاثي عام .1956
- شارك في حرب اليمن كقائد للواء مشاة بين عامي 1965 ..1966
- شكل مجموعة من القوات الخاصة عرفت فيما بعد بمجموعة الشاذلي عام.1967

حظى بشهرته لأول مره خلال الحرب العالمية الثانية عام 1941 عندما كانت القوات المصرية والبريطانية تواجه القوات الألمانية في الصحراء الغربية، وعندما صدرت الأوامر للقوات المصرية والبريطانية بالانسحاب. بقى الملازم الشاذلي ليدمر المعدات الثقيلة المتبقية في وجه القوات الألمانية المتقدمة .

أثبت الشاذلي نفسه مرة أخرى في نكسة 1967 عندما كان برتبة لواء ويقود وحدة من القوات المصرية الخاصة مجموع أفرادها حوالي ١٥٠٠ فرد والمعروفة بمجموعة الشاذلي في مهمة لحراسة وسط سيناء ووسط أسوأ هزيمة شهدها الجيش المصري في العصر الحديث وانقطاع الاتصالات مع القيادة المصرية وكنتيجه لفقدان الاتصال بين الشاذلي وبين قيادة الجيش في سيناء، فقد اتخذ الشاذلي قرارا جريئا فعبر بقواته الحدود الدوليه قبل غروب يوم 5 يونيو وتمركز بقواته داخل الأراضي الفلسطينيه المحتله بحوالي خمسة كيلومترات وبقي هناك يومين إلى أن تم الاتصال بالقياده العامه المصرية التي أصدرت إليه الأوامر بالانسحاب فورا.

فاستجاب لتلك الأوامر وبدأ انسحابه ليلا وقبل غروب يوم 8 يونيو في ظروف غاية في الصعوبة، باعتباره كان يسير في أرض يسيطر العدو تماما عليها، ومن دون أي دعم جوي، وبالحدود الدنيا من المؤن، واستطاع بحرفية نادرة أن يقطع أراضي سيناء كاملة من الشرق إلى الشط الغربي لقناة السويس(حوالي 200 كم).

وقد نجح في العوده بقواته ومعداته إلى الجيش المصري سالما، وتفادى النيران الإسرائيلية، وتكبد خسائر بنسبة 10% إلى 20 %. فكان آخر قائد مصري ينسحب بقواته من سيناء.

بعد هذه الحادثه اكتسب سمعة كبيرة في صفوف الجيش المصري، فتم تعيينه قائداً للقوات الخاصة والصاعقة والمظلات

وقد كانت أول وآخر مرة في التاريخ المصري يتم فيها ضم قوات المظلات وقوات الصاعقة إلى قوة موحدة هي القوات الخاصة.

تعيين سعد الدين الشاذلى

رئيساً لأركان القوات المسلحة

في 16 مايو1971 ، وبعد يوم واحد من إطاحة الرئيس السادات بأقطاب النظام الناصري، فيما سماه بثورة التصحيح عين الشاذلي رئيسا للأركان بالقوات المسلحة المصرية، باعتبار أنه لم يكن يدين بالولاء إلا لشرف الجندية، فلم يكن محسوبا على أي من المتصارعين على الساحة السياسية المصرية آنذاك.

يقول الفريق الشاذلي: كان هذا نتيجة ثقة الرئيس السادات به وبإمكانياته، ولأنه لم يكن الأقدم والمؤهل من الناحية الشكلية لقيادة هذا المنصب، ولكن ثقته في قدراته جعلته يستدعيه، ويتخطى حوالي أربعين لواء من اللواءات الأقدم منه في هذا المنصب.

دخل الفريق الشاذلي في خلافات مع الفريق محمد أحمد صادق وزير الحربية آنذاك حول خطة العمليات الخاصة بتحرير سيناء ، حيث كان الفريق صادق يرى أن الجيش المصري يتعين عليه ألا يقوم بأي عملية هجومية إلا إذا وصل إلى مرحلة تفوق على العدو في المعدات والكفاءة القتالية لجنوده، عندها فقط يمكنه القيام بعملية كاسحة يحرر بها سيناء كلها. وجد الفريق الشاذلي أن هذا الكلام لا يتماشى مع الإمكانيات الفعلية للجيش، ولذلك طالب أن يقوم بعملية هجومية في حدود إمكانياته، تقضي باسترداد من 10 إلى 12 كم في عمق سيناء.

بنى الفريق الشاذلي رأيه ذلك على أنه من المهم أن تفصل الإستراتيجية الحربية على إمكانياتك وطبقا لإمكانيات العدو. وسأل الشاذلي الفريق صادق :هل لديك القوات التي تستطيع أن تنفذ بها خطتك ؟ فقال له: لا. فقال له الشاذلي: على أي أساس إذن نضع خطة وليست لدينا الإمكانيات اللازمة لتنفيذها؟. أقال الرئيس السادات الفريق صادق وعين المشير أحمد إسماعيل علي وزيراً للحربية والذي بينه وبين الفريق الشاذلي خلافات قديمة.

خلافه مع أحمد إسماعيل

يقول الفريق الشاذلي : لم أكن قط على علاقة طيبة مع المشير أحمد إسماعيل علي .لقد كنا شخصيتين مختلفتين تماما لا يمكن لهما ان تتفقا. وقد بدأ أول خلاف بيننا عندما كنت أقود الكتيبة العربية التي كانت من ضمن قوات الأمم المتحدة في الكونغو عام1960 م . كان العميد أحمد إسماعيل قد ارسلته مصر على رأس بعثة عسكرية لدراسة ما يمكن لمصر ان تقدمه للنهوض بالجيش الكونوجولي.

وقبل وصول البعثة بعدة أيام سقطت حكومة لومومبا التي كانت تؤيدها مصر بعد نجاح انقلاب عسكري، وقد كانت ميول الحكومة الجديدة تتعارض تماما مع الخط الذي كانت تنتجه مصر، وهكذا وجدت البعثة نفسها دون أي عمل منذ اليوم الأول لحضورها، وبدلا من أن تعود البعثة الى مصر أخذ أحمد إسماعيل يخلق لنفسه مبرراً للبقاء في ليوبولدفيل على أساس أن يقوم بإعداد تقرير عن الموقف..

وتحت ستار هذا العمل بقي مع اللجنة ما يزيد على الشهرين. وفي تلك الفترة حاول ان يفرض سلطته علي بإعتبار أنه ضابط برتبة عميد بينما كنت أن وقتئذ برتبة عقيد، وبالتالي تصور أن من حقه أن يصدر التعليمات والتوجيهات.ورفضت هذا المنطق رفضاً باتاً وقلت له إنني لا أعترف له بأية سلطة علي أو على قواتي. وقد تبادلنا الكلمات الخشنة حتى كدنا نشتبك بالأيدي. وبعد أن علمت القاهرة بذلك استدعت اللجنة وانتهى الصراع ولكن آثاره بقيت في أعماق كل منا.

خطة حرب أكتوبر

وعنصر المفاجأة

أدرك السادات أنه لاخلاص من الأزمة عن طريق الأمل فى حل سلمى ، يمكن أن يأتى له سهلا – كما كان يأمل – بـ مبادرات من الشرق أو من الغرب بحجة الحفاظ على السلام فى الشرق الأوسط . أو عن طريق المفاوضات المباشرة أو غير المباشرة مع العدو الإسرائيلى المتعنت . أو عن طريق المحاولات العبثية بحثا عن حل عادل مع عدو منتصر ومغرور ، تلعب فيها الإدارة الأمريكية أو الإتحاد السوفييتى دورا يتم فرضه على أطراف النزاع العربى الإسرائيلى .

وقد أدرك عبد الناصر قبله بعد الهزيمة الكارثية للجيشين المصرى والسورى فى يونيو 1967 بأن الحل يتلخص فى عدد من الكلمات تقول : "أن ماأخذ بالقوة لايسترد بغير القوة" ، فقد كانت حتمية الحرب قرارا مصيريا وشعبيا لارجعة فيه ، مفروضا على أى رئيس لمصر ولا خيار له فيه ... وقد فرض هذا القرار نفسه وبقسوة على الرئيس السادات ، رغم محاولاته المتكررة تجنب مسئولية اتخاذ هذا القرار، وخاصة مع عدم استقرار السلطة له ، ومع ظروف صراعه على السلطة مع من سماهم بمراكز القوى .

وحتى بعد أن تم له تصفية تلك المراكز ، وانفرد انفرادا كاملا مطلقا بالسلطة دون معارض له أو منازع ، تردد كثيرا فى تحمل مسئولية اتخاذ

قرار الحرب ، رغم مرارة طول فترة "اللا حرب واللا سلم " ، التى عانت منها مصر كثيرا مع بدء وقف إطلاق النار بمبادرة روجرز الثانية ، اعتبارا من الساعة الواحدة من صباح السبت 8 أغسطس 1970 ، قبل وفاة عبد الناصر بحوالى خمسين يوما فى مساء يوم 27 سبتمبر 1970 . ثم أخذ وقف إطلاق النار يتجدد تباعا بعد ذلك ، حتى تم اتخاذ قرار الحرب فى أكتوبر1973 . – (ملاحظة : مراكز القوى كانت مجموعة على رأسها على صبرى ، وكان القادة السوفييت يرون أنها أقرب إلى التعاون معهم من مجموعة السادات التى يرون أنها تميل إلى الولايات المتحدة والغرب، ولذلك فقد شعروا بأن عليهم أن يترووا فى إجابة طلبات مصر من الأسلحة ، حتى يتحققوا من ولاء السادات للعلاقات المصرية السوفييتية، وحين نجح السادات فى التخلص من مراكز القوى التى حاولت الإنقلاب على نظامه فى 15 مايو 1971 ، أطلق على نجاحه هذا إسم "ثورة التصحيح") .

ويقول المؤرخ العسكرى جمال حماد فى كتابه " المعارك الحربية على الجبهة المصرية" (دار الشروق – الطبعة الأولى 2002) الصفحة 27 ، 28 : ومنذ شهر يوليو 1967 ظلت خطط العمليات العسكرية تتبدل وتتغير عدة مرات ، سواء فى أهدافها المرحلية أو فى أهدافها النهائية ، حتى استقر الرأى فى النهاية على تبنى "الخطة جرانيت 2 المعدلة" ، والتى تم بموجبها تنظيم التعاون بين القيادتين المصرية والسورية يوم 7 يونيو 73 بمقر القيادة العامة المصرية بمدينة نصر .. وهى الخطة التى تم تغيير إسمها الكودى فى شهر سبتمبر 73 إلى الخطة بدر.

ويقول المؤرخ عبد العظيم رمضان فى المقابل (كتابه "حرب أكتوبر فى محكمة التاريخ " بالصفحة 45) : ".. ومن الأمور ذ ات المغزى ، والتى تشير إلى تدهور الثقة فى السوفييت حالة القيام بهجوم مصرى ، هو أن القيادة المصرية كانت تخفى عن السوفييت خطة "المآذن العالية" المحدودة (خطة العبور) ، ولم تظهر لهم سوى خطة "العملية 41" التى تستهدف الوصول إلى المضايق ! ، والتى قامت بتحضيرها با لتعاون مع المستشارين السوفييت ، " لاطلاعهم على مايجب أن يكون لدينا من سلاح وقوات" – حسب تعبير الفريق الشاذلى .

ويقول جمال حماد (نفس المصدر السابق) : مما يدعو إلى الإلتفات أن كل من تولى منصب القائد العام (وزير الحربية) كان قد تولى منصب رئيس أركان حرب القوات المسلحة قبل إسناد منصب القائد العام له . الفريق أول محمد فوزى تولى منصب رئيس الأركان قبل هزيمة يونيو 67 ، ثم تولى منصب القائد العام للقوات المسلحة من 11 يونيو حتى تم إقالته فى 13 مايو 71 مع ماسماه السادات فى 15 مايو 71 بثورة التصحيح ، التى كانت انقلابا من السادات على مراكز القوى التى نازعته السلطة واتخاذ القرار .

والفريق محمد أحمد صادق تولى منصب رئيس الأركان اعتبارا من 10 سبتمبر 69 ، ثم رقاه السادات إلى رتبة فريق أول عندما عهد إليه بمنصب القائد العام فى 13 مايو 71 لما قدمه من عون ومساندة له فى حركة 15 مايو 71 ، واستمر محمد صادق فى منصبه حوالى عام ونصف العام حتى تمت للسادات تنحيته فى 26 أكتوبر 72 .

أما المشير أحمد إسماعيل فقد تولى منصب رئيس الأركان برتبة فريق على أثر استشهاد الفريق عبد المنعم رياض فى 10 مارس 69 ، ولم يبق فى منصبه سوى ستة أشهر فقط ، فقد أمر عبد الناصر بتنحيته عن منصبه فى 10 سبتمبر 69 على أثر وقوع الإغارة البرمائية الإسرائيلية على الزعفرانة فى اليوم السابق ، ولكن الرئيس السادات أسند إليه منصب القائد العام فى يوم 26 أكتوبر 72 – (لولائه المطلق له ، رغم علمه بمرضه بالسرطان ، ورغم نُصح الأطباء له بأن حالته الصحية لاتسمح له باتخاذ القرارات) – ، وكان ذلك على أثر تنحية السادات للفريق أول محمد صادق ، أى قبل نشوب حرب أكتوبر بعام واحد فقط .

(ملاحظة : تعين أمين هويدى وزيرا للحربية بجانب منصبه كرئيس للمخابرات العامة فى 1967/7/21 ، حيث كان محمد فوزى قائدا عاما للقوات المسلحة فقط ، إلى أن جمع محمد فوزى بين منصبه كقائد عام ومنصب وزير الحربية فى 1968/1/24 ، والجمع بين منصبى القائد العام ووزير الحربية كان تعديلا أجراه لأول مرة عبد الناصر واستمر بعد ذلك حتى الآن) .

واستمر جمال حماد (ص 28) قائلا : هذا وقد تولى منصب رئيس أركان حرب القوات المسلحة خلال هذه الفترة أربعة من القادة ، ذكرنا منهم اثنين وهما ، أحمد إسماعيل ومحمد صادق . وهناك إثنان آخران توليا هذا المنصب هما : الفريق عبد المنعم رياض تولى فى 12 يونيو 67 حتى استشهاده فى 9 مارس 69 خلال حرب الإستنزاف ، والفريق سعد الشاذلى وقد تولى منصب رئيس الأركان يوم 16 مايو 71 على أثر أحداث حركة 15 مايو التى سماها السادات بثورة التصحيح ، أى قبل نشوب حرب أكتوبر بحوالى عامين ونصف .... ثم يقول جمال حماد :

هؤلاء القادة الخمسة (محمد فوزى ، عبد المنعم رياض ، أحمد إسماعيل ، محمد صادق ، سعد الشاذلى) ، كانوا هم بلا شك المسئولين طوال الفترة بين الحربين (يونيو 67 وأكتوبر 73) وفقا لترتيب توليهم لمناصبهم عن وضع الأسس والتوجيهات لهيئة العمليات الحربية لإعداد خطط الحرب والعمليات العسكرية بشتى أشكالها ومراحلها مع مراعاة مدى إمكانات وقدرات القوات المسلحة على التنفيذ . وقد تمت لهم بالطبع مناقشة هذه الخطط على المستوى العسكرى مع هيئة العمليات ومديرى الأفرع والأسلحة وقادة الجيوش الميدانية ، وعلى المستوى السياسى مع رئيسى الجمهورية الراحلين عبد الناصر والسادات .

وحتى 6 يونيو 72 ، وهو تاريخ اجتماع مصغر للمجلس الأعلى للقوات المسلحة باستراحة الرئيس السادات بالقناطر الخيرية ، لم يكن قد تم الإتفاق على خطة واضحة لإتخاذ قرار الحرب .

ويقول جمال حماد : أن الفريق فوزى أوضح عقب مرور ثلاثة أعوام على هزيمة يونيو 67 أن القوات المسلحة فى إمكانها بدء معركة تحرير سيناء والوصول إلى الحدود الدولية فى 12 يوم ، بمجرد صدور الأمر إليها بذلك . واتضح بعد ذلك أنه لاوجود لخطة هجومية لهذه المعركة ، وذلك بشهادتى الفريق الشاذلى والرئيس السادات فى مذكراتهما .

ونشر بعد ذلك الفريق أول محمد صادق مقالا فى نوفمبر 84 ، ذكر فيه أن التفكير فى حرب شاملة لتحرير كل الأراضى المحتلة أمر لم يكن مطروحا عندما كان قائدا عاما للقوات المسلحة ، لأن ميزان القوى كان وقتئذ لصالح إسرائيل . وقدم محمد صادق خطة تتلخص فى عبور قناة السويس واقتحام خط بارليف شرق القناة وتحريره ، ثم إسقاط وحدات مظلات وصاعقة وقوة اقتحام جوى فوق المضايق للتمسك بها لحين وصول القوات المدرعة والمشاة الميكانيكية إلى المضايق الثلاثة لتعزيز تحريرها (المصدر : جمال حماد ص 29-35) .

وبنفس هذا الإجتماع المصغر لمجلس القوات المسلحة الأعلى ، فى 6 يونيو 72 المذكور قبل ، يقول جمال حماد : أن السادات كان يؤيد رأى الفريق محمد صادق فى عدم بدء المعركة إلا بعد أن تتوافر لمصر قوة ردع جوى قادرة على ضرب عمق العدو ، ولكنه تساءل فى نفس الوقت عما يكون العمل إذا اضطرنا الموقف السياسى إلى بدء المعركة قبل الإنتهاء من بناء قوة الردع ؟ . فأوضح الفريق الشاذلى بنفس الإجتماع : أنه يمكن التغلب على هذه المشكلة فى حالة تنفيذ الفكرة التى أبداها من قبل ، وهى التخطيط لمعركة هجومية محدودة فى ظل تفوق جوى معاد . وذكر الشاذلى "أنه يمكن الإعتماد فى تحدينا للتفوق الجوى الإسرائيلى خلال تلك المعركة على الصواريخ المضادة للطائرات (سام) " .

وقد أكد الفريق الشاذلى أن اللواء المسيرى الذى حضر هذا الإجتماع مندوبا عن القوات الجوية قد أيد رأيه تماما . (المصدر : جمال حماد ص 36) . وكان يشير الشاذلى فى هذا الإجتماع المصغر إلى الخطة التى كان يفكر بها دائما فى ظل تفوق العدو الجوى ، وهى نفس الخطة التى تم وضع مكوناتها وتفاصيلها وتسميتها فيما بعد بخطة "المآذن العالية".

وما يعنينا فى أمر ما سبق ، أنه حتى 6 يونيو 72 ، كانت خطة الحرب أمرا لم يتم الإتفاق عليه بعد ، وعلى ذلك فإن تكرار إطلاق السادات على عام 71 صفة عام الحسم ، ثم إطلاق نفس الصفة على عام 72 ، لا يمكن أن يعطى لهذا الحسم تفسيرا بأنه سوف يكون حسما بالحرب والقتال ، هذا رغم ما صرح به السادات بالنص قائلا : "لن أسمح أن تمر سنة 1971 دون أن تُحسم هذه المعركة " ، ورغم قوله أيضا : "إن هذه السنة سنة 1971 سوف تكون حاسمة فى أزمة الشر ق الأوسط .. وأن هذه السنة يجب أن تشهد – بعون الله – تحركنا العملى نحو إزالة آثار العدوان " – (المصدر : أنيس منصور ص 161 من كتابه "من أوراق السادات" الطبعة الرابعة 2010 دار المعارف) ..

ومن المعروف أن عام 71 شهد صراعا حادا مع السادات على السلطة ممن سماهم بمراكز القوى ، التى كان يتزعمها على صبرى كما أوضحنا من قبل ، ولم تكن سلطة اتخاذ القرار فى أى أمر فى شئون مصر داخليا أو خارجيا ، قد استقرت خالصة تماما فى يد السادات فى ذلك الوقت ، وفى شأن ذلك قال السادات (المصدر السابق /جمال حماد) : " .. وقلت على مسمع من الـ سوفييت والشعب والعالم : أن التحقيقات أثبتت أن على صبرى كان ينتظر فرقعة .. فرقعة داخل مصر .. فإذا حدثت الفرقعة وآلت لهم السلطة فلا داعى للحرب ..

فلا أحد يحارب ولا أحد من شعبنا يصاب بسوء .. ولكنى أقول وأكرر أن سنة 1971 حاسمة ، وإذا اقتضت المعركة أن يكون هناك مليون من الضحايا فنحن على استعداد لذلك .. " !! . وعلى أى حال فقد كانت لحالة السادات النفسية فى تلك الفترة المضطربة آثارا جانبية بالغة الحساسية ، أصبح معها السادات فاقدا لصفة الصراحة مع الشعب أو مع معاونيه أو مع العالم الخارجى ، بهدف تمرير بعض سياساته ، ولازمته تلك الحالة حتى إغتياله فى 6 أكتوبر 1981 . ومن المؤكد أن تلك الحالة قد أفادت – دون قصد منه – فى خداع إسرائيل والقوتين الأعظم ، عندما فاجأتهم مصر بالحرب فى 6 أكتوبر 1973 .

ويقول المؤرخ الدكتور عبد العظيم رمضان فى كتابه "حرب أكتوبر– فى محكمة التاريخ " بالصفحة 42 : فى الحق أن الأوضاع الداخلية فى مصر فى ذلك الحين كانت تضغط ضغطا شديدا فى هذا الإتجاه (أى فى اتجاه الحسم بالحرب) .

ففى خلال عام 1971 كان الرئيس السادات يرفع شعار "الحسم" ويكرره فى كل مناسبة ! ، وذلك لكى يحمل المجتمع الدولى على التحرك من أجل فرض الحل السياسى العادل الشامل " .

وهذا يعنى أن السادات كان يأمل كثيرا في الحل السلمى عن طريق ماكان يعتبره ضغطا على الولايات المتحدة والإتحاد السوفييتى . وكان رفعه لشعار الحسم هو رد فعل لضغوط الداخل ، ويمثل عنده أملا فى المجتمع الدولى بأن يأخذ كلامه على محمل الجد ، فيسارع المجتمع الدولى بالتحرك نحو فرض الحل السلمى حفاظا على الإستقرار والسلام بمنطقة الشرق الأوسط ، ولكن حين انقضى عام 71 دون أى حسم ، اضطر السادات كما يقول المؤرخ عبد العظيم رمضان بالصفحة 43 من كتابه ، أن يتذرع باندلاع الحرب الهندية الباكستانية فى 3 ديسمبر 1971 مختلقا قصة الضباب المشهورة .

فما هى علاقة الحرب الهندية الباكستانية بانقضاء عام الحسم دون حسم ! ، وهى التى حدثت فى الأيام الأخيرة من عام 71. من الصعب اكتشاف أى علاقة منطقية بين تلك الحرب وبين فشل الحسم الذى كان السادات يكرره طوال عام 71 ، إلا إن كان هذا الحسم الذى كان يقصده كان حسما سلميا ، يعتمد فيه السادات على مجهودات آخرين مؤثرين على نظام عالم هذا الزمن ، الذى كان معروفا بزمن الحرب الباردة بين قطبى العالم – الولايات المتحدة والإتحاد السوفييتى .

وكان كل ما نعرفه فى ذلك الوقت عن تلك الحرب الهندية الباكستانية ، أنها بدأت بضربة جوية استباقية فاشلة من الباكستان ضد الهند مساء يوم 3 ديسمبر عام 71 ، فأعلنت أنديرا غاندى رئيسة الهند الحرب على الباكستان ، وانتهت الحرب سريعا يوم 16 ديسمبر بهزيمة قاسية للباكستان ، فقدت فيها الباكستان نصف أرضها الشرقية ، ونشأ عن تلك الحرب دولة جديدة ذات سيادة مستقلة فى الجزء الشرقى منها هى دولة بانجلاديش .

وكانت تلك الحرب فرصة للقوتين الأعظم فى زمن الحرب الباردة ، لإستعراض القوة ، فى محاولة لكسب مناطق نفوذ بعالم هذا الزمن .

وسارع ديكسون رئيس الولايات المتحدة بدعم باكستان بالسلاح وحرك الأسطول الثامن إلى خليج البنغال وحاملة الطائرات النووية إنتربرايز Enterprise . فسارع الإتحاد السوفييتى بدعم الهند بالسلاح ، وحرك هو الآخر بارجتين وغواصة مسلحين بالصواريخ النووية فى اتجاه خليج البنغال أيضا بالمحيط الهندى .

وعلى ذلك نتساءل : هل قصة الضباب التى اختلقها السادات كانت بسبب انشغال القوتين الأعظم عن لعب دور فعال فى أزمة الشرق الأوسط والصراع العربى الإسرائيلى ، نتيجة انشغالهما بالحرب الهندية الباكستانية ، رغم أن انشغالهما كان لأيام قليلة فى نهاية عام 71 ، كسب فيها الإتحاد السوفييتى نفوذا سياسيا وعسكريا جديدا عندما حسمت الهند الحرب لصالحها ضد الباكستان .

فهل كان هذا الإنشغال سببا لضياع حلم السادات بالحسم سلما أو حربا وسط ضباب دولى كثيف ؟! ، مما جعله مضطرا إلى تأليف قصة الضباب المشهورة تبريرا لعدم الحسم الذى كان يكرر إعلانه ، فاضطر أن يبرر ذلك بقوله : "أنه لولا قيام الحرب الهندية الباكستانية لقامت الحرب عام 71 وتم الحسم" . هنا يجب أن نقول أن السادات قد أخطأ كثيرا باستغبائه للشعب المصرى ، عندما اعتقد أن هذا الشعب يستطيع أن يبتلع ويهضم قصة الضباب التى ألفها . وكانت قصة الضباب قصة مفضوحة للجميع ، وكان مصطلح الحسم نفسه مصطلحا ضبابيا تاه معناه عند السادات ، فترك أمر معناه والمراد من مقصده للقوتين الأعظم ، فخذلته

القوتان بضباب انشغالهما عنه بالصراع والتنافس على مناطق نفوذ أخرى بمنطقة بعيدة بالقارة الآسيوية .

إن الكاتب الروائى المشهور توفيق الحكيم رحمه الله أصدر بيانا فى شأن تأخير الحسم بسبب الضباب – نيابة عن كتاب مصر وعن النخبة من مثقفيها – وجهه للسادات قائلا : إذا لم تكن ترى غير الضباب فاترك أمر الحكم والحسم للشعب .

وقد أثارت قصة الضباب غضب الشعب ، وانفجرت الإضطرابات بين الطلاب ، الذين مزقهم الشعور باليأس فى يناير 1972 ، واعتصموا بجامعة القاهرة ومعظم كليات جامعة عين شمس . وأخذت الأقلام تندد بحالة اللاسلم واللاحرب .

ويقول اللواء الجمسى رئيس عمليات القوات المسلحة أثناء حرب أكتوبر – (نقلا عن كتاب المؤرخ عبد العظيم رمضان) – بمذكراته ص 214 (الطبعة الأولى 1989) : " أحس السادات بأن شعبيته قد تأثرت ، وسمعته أخذت تتقوض . وحاول بث الطمأنينة فى قلوب الجماهير عن طريق تصريحات تؤكد أنه ليس هناك مايدعو لمناقشة قرار المعركة ، وأن المعركة حتمية ولابد منها . " .

وأطلق السادات شعار الحسم مرة أخرى على عام 1972 فى خطابه بإحدى القواعد الجوية فى 30 مارس 1972 . وأثناء زيارة السادات لموسكو فى شهر إبريل 1972 ، وكانت بدعوة من القيادة السوفييتية صارحه المارشال جريتشكو قائلا إن المتطلبات الثلاثة الأساسية

لحرب ناجحة هى : السلاح ، والتدريب ، وإرادة القتال. وقال : " إن المطلبين الأولين متوفرين لديكم ، أما المطلب الثالث ، فلكم أن تستشيروا ضميركم بشأنه " !

وفى أواخر عام **1972** كان السادات قد استنفد تماما كل الوسائل السياسية والدبلوماسية ، التى كان يتبناها لتحريك القضية من مأزق "اللاحرب واللاسلم" . وحتى حين تقدم بمبادرته فى فبراير **1971** ، التى أكدها أيضا فى مايو من العام نفسه (المصدر : عبد العظيم رمضان/ المرجع السابق ص **41**) ، وقامت مبادرته على مد فترة وقف إطلاق النار لمدة **6** شهور ، ويتم البدأ فى تطهير قناة السويس بشرط أن تنسحب إسرائيل جزئيا من سيناء .

تلقى رسالة من الإدارة الأمريكية تعليقا على هذه المبادرة مفادها : بأنه إذا كان يظن أن تحديد موعد أخير لإنهاء وقف إطلاق النار يمكن أن يكون عامل ضغط على الولايات المتحدة فهو مخطئ ، لأن الحاجة تدعو إلى مزيد من الوقت ! ، مما يعنى أن وقف إطلاق النار هو أمر واقع لاتسعى إسرائيل أو الإدارة الأمريكية لتغييره ، وأن الزمن مع عدم انسحاب إسرائيل من الأراضى التى احتلتها هو فى صالحها .

وكانت استجابة الولايات المتحدة لمبادرة السادات سلبية ومحبطة ، رغم محاولته تشجيع الإدارة الأمريكية على قبولها ، حين استدعى دونالد برجس رئيس قسم رعاية المصالح الأمريكية فى ذلك الوقت ، وكلفه بنقل

رسالة إلى الرئيس نيكسون بأنه إذا تمكن من تنفيذ مبادرته – فك الإشتباك وإعادة فتح قناة السويس – فإنه سيطرد السوفييت من مصر .

وحين أراد السادات بعد ذلك أن يعطى ورقة ثمينة مقدما للولايات المتحدة ، وخاصة بعد أن فقد صبره لتجاهل السوفييت له واستخفافهم به ، أصدر قراره فى يوليو 1972 بالإستغناء عن طائرات الميج 25 بطياريها السوفييت بإجمالى لواءين جويين ، وهى طائرات متفوقة على طائرات الفانتوم التى كان يمتلكها سلاح الجو الإسرائيلى فى ذلك الوقت ، وكذلك الإستغناء عن الخبراء السوفييت الذين كانوا يشكلون فرقة صواريخ أرض جو والعديد من وحدات الحرب الإلكترونية .

وفعل السادات ذلك دون أن يساوم الإدارة الأمريكية مقدما على أى شيئ . كما لم يكن توقيت قراره هذا موفقا لأنه تم والإدارة الأمريكية منشغلة عنه وعن أزمة الشرق الأوسط وسط معركة الإنتخابات الرئاسية ، ولم تكن متعجلة فى شأن الإنشغال بتلك الأزمة ، وخاصة أن إيقاف إطلاق النار هو إيقاف سارى بالمنطقة والواقع هادئ على الأرض وكل شيئ فى مصلحة إسرائيل .

كما لم يبدى كيسينجر أى اهتمام بقرار السادات الإستغناء عن المستشارين السوفييت أثناء اجتماعه مع حافظ إسماعيل مستشار السادات للأمن القومى ، وعلق كيسينجر تعليقا يتسم بالتعالى على هذا القرار بقوله : أن البضاعة وصلت والهدف قد تحقق وبالتالى فما حدث أصبح تاريخا ، وهنرى كيسينجر لايهتم بالتاريخ ، والحاضر فى حالتنا هو الذى يصيغ

الأمر الواقع ، والأمر الواقع هو ركيزة إدارة الأزمات (أمين هويدى- "الفرص الضائعة" طبعة 1992 ص 288) .

وإضافة إلى انشغال الإدارة الأمريكية بانتخابات الرئاسة فى الشهور الأخيرة من عام 1972 وتولى الإدارة الجديدة السلطة فى أوائل عام 1973 ، فإنه حين بدأ حافظ إسماعيل مباحثاته السرية الأولى مع كيسينجر فى فبراير 1973 ، كان كيسينجر حريصا على أن يؤكد لحافظ إسماعيل أن لاينتظر الكثير من الجانب الإسرائيلى إلا بعد الإنتخابات الإسرائلية فى أكتوبر 1973 .

كما أن مؤتمر القمة السوفييتى الأمريكى الذى انعقد فى موسكو فى المدة من 22 مايو إلى 30 مايو 1972 كان بمثابة صدمة للسادات وللشعب المصرى كما يقول المؤرخ عبد العظيم رمضان (كتابه "حرب أكتوبر فى محكمة التاريخ" ص 44) ، لأنه أكد الظن الذى كان يساور الجميع بأن الدولتين العظميين قد اتفقتا على استمرار حالة اللاسلم واللاحرب ، باعتبارها الحالة المناسبة لتجنب حدوث مواجهة بينهما .

من مجمل ماسبق فإنه يمكن القول بأن إعلان السادات عام 71 هو عام الحسم ، ثم إطلاق نفس الوصف على عام 72 أيضا دون حسم ، لم يكن بقصد أن يكون ذلك ضمن خطة خداع سياسية للعدو ، بهدف مفاجأته بالحرب بعد ذلك فى عام 73 كما يدعى البعض . كما لم تكن دوافع السادات بقراره الإستغناء عن الخبراء السوفييت ، بقصد أن يجعل إسرائيل

والغرب والشرق يظنون أن مصر لن تدخل المعركة التى سوف تدخلها فى 6 أكتوبر 1973

.

والسادات نفسه لم يقل بذلك ، بل قال بمذكراته إن دوافع إتخاذه قرار الإستغناء عن الخبراء السوفييت كان لموقف الإتحاد السوفييتى من إمداد الجيش المصرى بالمعدات والأسلحة وتسويفهم فى ذلك ، وأنه بنى استراتيجيته على أساس ألا يبدأ المعركة وعلى أرض مصر خبراء مقاتلين سوفييت . أما قول كيسينجر بمذكراته بعنوان "سنوات مضطربة" Years of Upheaval ص 459 عن السادات : بأن ما فعله السادات بتكرار إعلانه للحسم عامى 71 ، 72 دون حسم يشبه ما فعله هتلر من خداع فى الحرب العالمية الثانية حين حشد قواته على الحدود السوفييتية بشكل ظاهر ،

ثم تعمد تركيز وسائل إعلامه بأنه يفضل المفاوضة ولا يفضل اللجوء إلى الحرب ، فصدقه ستالين ، وحين إطمأن هتلر لتصديقه ، فاجأه بالهجوم والحرب ، فإن قول كيسينجر هذا كان قولا مغلوطا ، لأن السادات لم يخدع عدوا حين أعلن الحسم عامى 71 ، 72 دون حسم ، بل خدع شعبه وخدع نفسه .

لأن الثابت أن السادات لم يكن يسعى بالحسم حربا ، ولكنه كان يسعى بالحسم حسما دبلوماسيا تجنبا لمسئولية الحرب الجسيمة ، آملا من القوتين الأعظم تحريك الأزمة بأى مبادرة سلمية أو بقبول مبادرته التى أشرنا إليها من قبل .. ووجدنا فى النهاية أن السادات قد اضطر إلى خيار الحرب ، والإعتماد على إرادة شعب مصر الذى طال تجنيده للقتال والحرب

دون حرب أو سلم ، والتخلى عن أحلامه بتحريك الأزمة بمبادرات من هنا أو هناك .

وقد لخص عبد الغنى الجمسى ضرورة اللجوء إلى الحرب بمذكراته ص 259 فى الآتى :

أن مصر قد استنفدت كل الوسائل السياسية والدبلوماسية للخروج من "حالة اللاسلم واللاحرب" .

وأصبح واضحا أن سياسة الوفاق بين الولايات المتحدة والإتحاد السوفييتى لاتوفر الظروف المناسبة لحل المشكلة بما يتفق مع المصالح العربية ، بل إن هذه السياسة أصبحت فى صالح القوتين الأعظم وإسرائيل ، كما أن طول فترة الإنتظار على جبهة القتال التى امتدت إلى خمسة وستة أعوام دون جديد فى الموقف العسكرى أثرت بالسلب على معنويات القوات المسلحة ، وخاصة مع تغير مستوى المقاتل المصرى – بعد يونيو 1967 – تغييرا جذريا ، بعد أن تم تجنيد شباب مصر من ذوى المؤهلات العالية ، وأصبحوا يشكلون نسبة كبيرة فى الوحدات المقاتلة كجنود وضباط .

ومع إستمرار التعبئة العامة منذ عام 1967 ، كان يزداد عدد المقاتلين يوما بعد يوم ، وكلما طال الوقت أصبح المقاتل يتمنى بدء الحرب تحريرا لوطنه اليوم قبل غدا وإنهاء حالة اللاسلم واللاحرب ، هذه الحالة التى استنزفت كثيرا من طاقات مصر البشرية والإقتصادية نتيجة للتعبئة العامة عدة سنوات الأمر الذى كان يشكل ضغطا متزايدا على الجبهة الداخلية يوما بعد يوم .

الهدوء الذي يسبق العاصفة

اجتماع الوفد المصرى السورى السوفيتى فى الاسكندرية

وهنا بدأت العجلة تدور فى إتجاه قرار الحرب . وأوضح الشاذلى فى الباب السابع من مذكراته أنه فى 21 أغسطس 73 إجتمع الوفدان المصرى والسورى بالإسكندرية ، وكان على رأس الوفد المصرى الفريق أول أحمد إسماعيل وزير الحربية والفريق سعد الدين الشاذلى (ر.أ.ق.م.م) ، وعلى رأس الوفد السورى اللواء طلاس وزير الدفاع واللواء يوسف شكور (ر.أ.ح.ق.م.س) . وكان هدف الإجتماع هو الإتفاق على أنسب الأوقات لساعة الصفر ، وتنسيق الخطط المصرية السورية الخاصة بالسرية والأمن والخداع التعبوي والإستراتيجي والسياسي .

في تمام الساعة 1400 يوم 21 من أغسطس 73 دخلت ميناء الإسكندرية باخرة ركاب سوفيتية وعليها 6 رجال سوريين كان يتوقف على قرارهم مصير الحرب والسلام فى منطقة الشرق الأوسط. كان هؤلاء هم اللواء طلاس وزير الدفاع، واللواء يوسف شكور (ر.أ.ح. ق. م. س)، واللواء ناجى جميل قائد القوات الجوية والدفاع الجوى، واللواء حكمت الشهابي مدير المخابرات الحربية، واللواء عبد الرزاق الدردري رئيس هيئة العمليات، والعميد فضل حسين قائد القوات البحرية. كانوا جميعا بملابسهم المدنية

ولم يخطر وسائل الإعلام فى مصر او فى سوريا بأي شيء عن هذا الموضوع سواء قبل وصول الوفد ام بعده. كنت أنا فى استقبالهم على رصيف الميناء حيث خرجنا دون أية مراسم إلى نادى الضباط حيث أنزلوا خلال فترة إقامتهم بالإسكندرية.

وفي الساعة 1800 من اليوم نفسه اجتمع الوفدان المصري والسوري فى مبنى قيادة القوات البحرية المصرية فى قصر رأس التين بالإسكندرية. كان الوفد المصري يتكون من الفريق اول احمد إسماعيل وزير الحربية، والفريق سعد الدين الشاذلى (ر.ا.ح.ق.م.م)، واللواء محمد على فهمي قائد ا لدفاع الجوى، واللواء حسنى مبارك قائد القوات الجوية، واللواء فؤاد زكرى قائد القوات البحرية، واللواء عبد الغنى الجمسى رئيس هيئة العمليات، واللواء فؤاد نصار مدير المخابرات الحربية. كان هؤلاء الرجال الثلاثة عشر هم المجلس الأعلى للقوات المصرية والسورية المشتركة، وكان يقوم بأعمال السكرتارية لهذا المجلس اللواء بهى الدين نوفل.

ويقول الشاذلى : كان الهدف من اجتماع هذا المجلس هو الاتفاق على ميعاد الحرب. وحيث إن قرار الحرب هو في النهاية قرار سياسى وليس قرارا عسكريا فقد كانت مسئوليتنا تنحصر فى إعطاء الإشارة للقيادة السياسية فى كل من مصر وسوريا بأننا جاهزين للحرب فى حدود الخطط المتفق عليها، وأن نحدد لهم افضل التواريخ المناسبة من وجهة نظرنا استمرت اجتماعاتنا خلال يوم 22 من أغسطس، وفي صباح يوم 23 من أغسطس كنا قد اتفقنا على كل شيء وأخذنا نعد الوثائق الرسمية لهذا الاجتماع التاريخي. وكان قرارنا يتلخص في أننا مستعدين وجاهزون للحرب وفيما يتعلق بتاريخ الحرب فقد اقترحنا توقيتين أحدهما خلال الفترة

من 7 ألى 11 من سبتمبر والثاني خلال الفترة من 5 ألى 11 من أكتوبر 73.

وعلاوة على ذلك فقد اقترحنا افضل الأيام داخل كل مجموعة من التوقيتية وقد طالبنا للقيادة السياسية بأن تخطرنا بالقرار الخاص بتوقيت الحرب قبل بدء القتال بخمسة عشر يوما، وقد حرر محضر الاجتماع من صورتين وتم التوقيع عليهما من قبل كل من ر.ا.ح.ق.م السوري والمصري (اللواء يوسف شكورعن الجانب السوري،

والفريق سعد الدين الشاذلي عن الجانب المصري). كان انتخاب توقيت سبتمبر يعنى أن القيادة السياسية يتحتم عليها اتخاذ القرار و إخطارنا به قبل يوم 27 من أغسطس أي بعد 4 أيام على الأكثر من تاريخ انتهاء المؤتمر، فلما جاء يوم 28 دون أن نخطر بشيء بدا واضحا أن الحرب ستكون في 5 من أكتوبر او بعد ذلك بقليل.

وفرضت سرية الإجتماع عودة الوفد السورى اعتبارا من يوم 24 من أغسطس، ولكن بأسلوب مختلف تماما عن أسلوب حضورهم. فمنهم من عاد جوا عن طريق السعودية، ومنهم من عاد بطريق البحر، ومنهم من بقي عدة أيام أخرى ، واعتبارا من 21 من سبتمبر بدأ العد التنازلي نحو حرب أكتوبر.

ويتساءل إيلى زاعيرا رئيس المخابرات الإسرائيلية (الموساد) فى مذكراته : لماذا لم تصل "معلومة" عن اللقاء المصرى السورى فى الفترة من 21 إلى 23 أغسطس 1973 ؟ . ثم يقول زاعيرا : حسب إعتقادى

فإن ماتم إخفاؤه عن "الوكالة" (يقصد الموساد) بشأن هدف زيارة السادات للسعودية فى أغسطس 1973 مع الملك فيصل ، وماتم إخفاؤه عن "الوكالة" من معلومات عن اللقاء المصرى السورى فى الإسكندرية فى أغسطس نفس العام ،

وكذلك القرار الحقيقى والوحيد عن موعد الحرب ضد إسرائيل ، ووصول معلومة فى نفس الوقت تفيد أن السادات قد أرجأ الحرب إلى نهاية العام ، كل ذلك يشهد على أن "المنبع" كان تتويجا لنجاح خطة الخداع المصرية – (ملحوظة : غالبا كان يقصد زاعيرا بـ "المنبع" أشرف مروان صهر الرئيس عبد الناصر كمنبع لمعلومات الموساد الإسرائيلى ، حيث سرب الموساد خبرا بعد وفاة أشرف مروان مقتولا أو منتحرا بلندن فى 27 يونيو 2007 أنه كان عميلها وأكبر جواسيسها وأهمهم . فى حين قال الدكتور عبد المنعم سعيد رئيس مركز الأهرام للدراسات الإستراتيجية : إن مروان كان جزءا من خطة الحرب المصرية ، وكان عميلا مزدوجا كحلقة مهمة فى عملية خداع إسرائيل فى حرب 73) .

أما بخصوص خداع العدو عن نوايا مصر وسوريا بالهجوم فيقول الشاذلى : قد كانت لدينا خطة متكاملة تشمل الخداع التكتيكي والتعبوي والإستراتيجي والسياسي. وقد تم تنسيق خططنا للخداع مع خطط الجانب السوري خلال الإجتماع بالإسكندرية في أغسطس 73. كانت الخطة تعتمد على سلسلة من الأحداث تقع في عدة تواريخ محددة على المستويين العسكري والسياسي مما يعطي انطباعا بأن الحرب ليست متوقعة في الوقت الذي حددناه لها . ويستعرض الشاذلى فى مذكراته بعض أمثلة لتلك الأحداث التى تنفيذها اصطناعا تنفيذا لخطة الخداع التكتيكى والتعبوى

والإستراتيجى ثم يقول : وهكذا فإن المفاجأة التي حققناها يوم 6 من أكتوبر 73 كانت نتيجة سلسلة من الإجراءات المتعددة التي كان يجري تنفيذها ضمن خطة محبوكة الأطراف تم وضع أسسها قبل بدء الحرب بمدة طويلة .

ويقول إيلى زاعيرا رئيس المخابرات الإسرائيلية : أما الذى لم نتوقعه ، وكان بمثابة مفاجأة لنا ، هو رد الفعل السوفييتى ، ففى الساعات المتأخرة من مساء 4 أكتوبر أسرع الخبراء السوفييت الذين يقيمون بالقاهرة هم وعائلاتهم إلى المطار ، وأقلعوا إلى موسكو ، وفى ظهر اليوم التالى 5 أكتوبر كانت عملية الرحيل قد اكتملت . وأنا اعتقدت أن السوفييت قد تأكدت شكوكهم من صور أقمار التجسس ... وربما تلقوا إشارة ما من الرئيس السادات أو الرئيس الأسد ، وعلى أى حال أصبح واضحا فى يوم 4 أكتوبر أن السوفييت واثقون ، من أن الحرب على الأبواب . كما تم إعداد خطة مصرية خاصة لنقل معدات العبور من المؤخرة إلى الجبهة ومن الجبهة إلى المؤخرة وكذا تحركات بطول المنطقة ، حتى يبدو الأمر وكأنه تدريب على التحركات ، ولاحظنا دفع القوات الرئيسية من العمق إلى الجبهة أثناء تلك التحركات قبل ثلاثة أسابيع من موعد بداية الهجوم ، وبتمويه جيد من أعمال هندسية متقنة ، كان يبدوا الأمر وكأنه يتعلق بمجرد مناورة ، ولكن فجأة وفى ذروة المناورة ، تحولت المناورة إلى قتال فعلى ..!! .

ثم يقول إيلى زاعيرا : أن عدد الضباط الذين كانوا يعملون بتطوير المناورة إلى حرب كان محدودا جدا ، وعندما حاصرت مجموعة عمليات "بران" الجيش الثالث المصرى ، قامت بأسر آلاف الجنود المصريين ، ومن بينهم ضباط من قيادة الجيش ، ومن بين هؤلاء الضباط الذين تم أسرهم ، ضابط برتبة عقيد وهو ضابط من ضباط قيادة الدفاع الجوى . وخلال استجوابه الذى أجريته له فى معسكر للأسرى بجنوب سيناء قال لى : يوم 6 أكتوبر وفى الساعة 13.30 تم استدعاء ضباط القيادة – وهو من ضمنهم – إلى مكتب قائد الجيش . وعندما دخلوا إلى مكتبه وجدوه يصلى ، وعندما أنهى صلاته أبلغهم أن المناورة قد تطورت إلى حرب حقيقية ، وفى هذه اللحظة سمعوا أزيز طائرات القتال المصرية المتجهة لمهاجمة أهداف فى سيناء . ويقول زاعيرا : أن عنصر الخداع المصرى هو الذى ساهم أكثر من أى شيئ آخر فى عدم فهم طبيعة الإعدادات المصرية لعبور القناة ، ثم يقول : أن خطة الخداع اشتملت أيضا على خطوط رئيسية من الدعاية السياسية ، بهدف خدمة خطة الخداع ، وقد تكللت جميعها بالنجاح ، ويمكننى القول أن خطة الخداع التكتيكية والإستراتيجية حققت نجاحا ساحقا ، لدرجة أن أجهزة المخابرات العالمية ، وعلى رأسها وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، استخلصت نتائج خاطئة ، وفوجئ العالم كله بالهجوم المصرى – السورى .

أما كيسينجر وزير خارجية الولايات المتحدة وقت حرب أكتوبر ومستشار الرئيس الأمريكى للأمن القومى فقد خصص فصلا كاملا بدأه بالصفحة رقم 459 بعنوان " لماذا أُخذنا على حين غرة" Why we were surprised بمذكراته "سنوات مضطربه" Years of Upheaval أوضح فى مقدمته أمثلة من أساليب المفاجأة فى الحرب العالمية الثانية ثم قال : أن الهجوم المصرى السورى على إسرائيل كان مفاجأة استرتيجية وتكتيكية من النوع التقليدى ، ولم تنتج بشكل كامل عن خداع للخصم أو عن التشويش عليه بمعلومات متناقضة لإفقاده القدرة على التمييز بين الصحيح وغير الصحيح منها ، بل نتجت المفاجأة أساسا نتيجة لخطأ الخصم فى التفسير الصحيح للوقائع المتاحة ، والتى لم يكن يخفيها الآخر بأى ستار كثيف من المعلومات المتناقضة . والنص الإنجليزى هو مايلى :

But the surprise of the october war is not explained fully by either background "noise" or deception. It resulted from the misinterpretation of facts available for all to see . unbeclouded by any conflicting information.

ثم يقول كيسينجر : " أن كل التحليلات الإسرائيلية والأمريكية ، كانت تضع عجز القدرة العسكرية لكل من مصر وسوريا ، عن تحرير الأراضى المحتلة بالحرب ، فى مقدمة استلالاتها للوصول إلى نتيجة واحدة هى عدم توقع أى هجوم من جانبهما . كما أن إعتقادنا أنهم سوف ينتظرون كالعادة ماوعدناهم به من تحرك فعال فى اتجاه الحل السلمى بعد انتهاء الإنتخابات الإسرائيلية فى 30 أكتوبر كان يدعم توقعنا عدم الهجوم فى أكتوبر على الأقل " . ثم يقول كيسينجر : "وكان الإسرائيليون فى الجانب الآخر يفترضون وبشكل ساذج أن مصر لن تهاجم ، طالما أن قواتها لاتملك تفوقا عليهم فى السلاح الجوى ، وأنه لن يحدث أى هجوم عليهم قبل أن يعلمون به فى وقت يتراوح بين 24 ساعة إلى 48 ساعة على الأقل . وهذا وقت كاف لكى تتدخل الولايات المتحدة فى الأمر دبلوماسيا ، وهو كاف أيضا لإسرائيل لتعبئة قواتها واستدعاء الإحتياط " . ويقول إيلى زاعيرا رئيس الموساد فى ذلك الوقت بمذكراته : " كيف لم تصل لنا أية معلومات تحذيرية إلا قبل ساعة الصفر بأربعين ساعة ؟ ! بينما "المنبع" – (سبق أن أوضحنا من هو المقصود بالمنبع) – الذى هو ليس مصدر التحذير قد علم يوم 25 سبتمبر أن الحرب على الأبواب . أى قبل عشرة أيام من نشوب الحرب ؟ "

.. أى أن زاعيرا رئيس الموساد علم بالحرب قبل نشوبها على الأقل بأربعين ساعة ، ولكن من رحمة الله أن القادة الإسرائيليين كان يعميهم الغرور بعد انتصارهم الكاسح فى يونيو 1967، ووصل هذا الغرور إلى درجة الثقة – التى تكاد أن تكون مطلقة– بأن الجيش المصرى غير مؤهل بعد نكسة يونيو1967 لبدء أى حرب يمكن أن ينتصر فيها ، فلم يهتموا كثيرا بالمعلومات التى توفرت لديهم عن نية مصر وسوريا لبدء الحرب .

وحينما حققت القوات المصرية والسورية المفاجأة الكاملة فى حرب أكتوبر 1973 ، أمرت رئيسة وزراء إسرائيل جولدا مائير فى أواخر نوفمبر 1973 أى قبل انقضاء أسابيع قليلة من إيقاف إطلاق النيران بتشكيل لجنة برئاسة القاضى شمعون أجرانات ، لمعرفة أسباب التقصير الذى تم ومن المتسبب فى ذلك ، ومثُل أمام تلك اللجنة كل من رأت اللجنة استدعاءه حتى جولدا مائير نفسها ، وموشى ديان وزير الدفاع ودافيد إليعازر رئيس الأركان وشموئيل جونين قائد المنطقة الجنوبية فى مواجهة الجبهة المصرية .

خطة المآذن العالية

أما خطة "المآذن العالية" فيقول الشاذلى : " كنا نقوم بتحضيرها فى سرية تامة ، ولم يكن يعلم بها أحد من المستشارين السوفييت ، كما أن عدد القادة المصريين الذين سمح لهم بالإشتراك فى مناقشتها كان محدودا للغاية" . ورغم معرفة السوفييت باحتياجات مصر لتنفيذ الخطة 41 ، إلا أنهم لم يقدموا لمصر مايكفى لتغطية الأسلحة اللازمة لتنفيذها ، كوسيلة لشل يدها عن تنفيذها" ! .

وعلى ذلك فإنه حسب هذا القول الذى قال به المؤرخ الدكتور عبد العظيم بكتابه المذكور قبل (الناشر: مكتبة الأسرة 1995) ، فلم يكن هناك قبل الدخول فى الحرب مباشرة سوى خطتان للعمليات ، خطة محدودة وسرية هى خطة "المآذن العالية" ، وخطة أخرى مشاعة ومعروفة للسوفييت ولمعظم القادة المصريين هى الخطة "41" ، بغرض اطلاع السوفييت على مايجب أن يكون لدى القوات المصرية من سلاح ومعدات عسكرية ، ولكن لم يقدم السوفييت مايكفى لتغطية الأسلحة اللازمة لتنفيذ هذه الخطة ، وهذا ماسوف نناقشه تفصيلا عند الحديث عن أوضاع جبهة القتال من 10 إلى 14 أكتوبر 73 وعن ثغرة الدفرسوار وحصار الجيش الثالث الميدانى .

يقول الشاذلي عن الخطة التي وضعها للهجوم على إسرائيل واقتحام قناة السويس التي سماها" المآذن العالية: "

إن ضعف قواتنا الجوية وضعف إمكاناتنا في الدفاع الجوي ذاتي الحركة يمنعنا من أن نقوم بعملية هجومية كبيرة.. ولكن في استطاعتنا أن نقوم بعملية محدودة، بحيث نعبر القناة وندمر خط بارليف ونحتل من 10 إلى 12 كيلومترا شرق القناة. كانت فلسفة هذه الخطة تقوم على أن لإسرائيل مقتلين:

المقتل الأول : هو عدم قدرتها على تحمل الخسائر البشرية نظرا لقلة عدد أفرادها.

المقتل الثاني : هو إطالة مدة الحرب، فهي في كل الحروب السابقة كانت تعتمد على الحروب الخاطفة التي تنتهي خلال أربعة أسابيع أو ستة أسابيع على الأكثر؛ لأنها خلال هذه الفترة تقوم بتعبئة 18% من الشعب الإسرائيلي وهذه نسبة عالية جدًا.

ثم إن الحالة الاقتصادية تتوقف تماما في إسرائيل والتعليم يتوقف والزراعة تتوقف والصناعة كذلك ؛ لأن معظم الذين يعملون في هذه المؤسسات في النهاية ضباط وعساكر في القوات المسلحة؛ ولذلك كانت خطة الشاذلي تقوم على استغلال هاتين النقطتين.

الخطة كان لها بعدان آخران على صعيد حرمان إسرائيل من أهم مزاياها القتالية يقول عنهما الشاذلي: "عندما أعبر القناة وأحتل مسافة بعمق 10: 12 كم شرق القناة بطول الجبهة (حوالي 170 كم) سأحرم العدو من أهم ميزتين له؛ فالميزة الأولى تكمن في حرمانه من الهجوم من الأجناب؛ لأن أجناب الجيش المصري ستكون مرتكزة على البحر المتوسط في الشمال، وعلى خليج السويس في الجنوب، ولن يستطيع الهجوم من المؤخرة التي ستكون قناة السويس، فسيضطر إلى الهجوم بالمواجهة وعندها سيدفع الثمن فادحا."

وعن الميزة الثانية قال الشاذلي: "يتمتع العدو بميزة مهمة في المعارك التصادمية، وهي الدعم الجوي السريع للعناصر المدرعة التابعة له، حيث تتيح العقيدة القتالية الغربية التي تعمل إسرائيل بمقتضاها للمستويات الصغرى من القادة بالاستعانة بالدعم الجوي، وهو ما سيفقده لأني سأكون في حماية الدفاع الجوي المصري، ومن هنا تتم عملية تحييد الطيران الإسرائيلي من المعركة.

معركة الثأر وساعة الصفر

بـ عد أسبوعين من تولى هنرى كيسينجر مهام وظيفته كوزير لخارجية الولايات المتحدة بجانب عمله كمستشار للرئيس نيكسون للأمن القومى ، وتحت عنوان "الحرب فى الشرق الأوسط" ص 450 من مذكراته بعنوان "سنوات مضطربة" **Years of Upheaval** قال كيسينجر : "فى تمام الساعة السادسة والدقيقة الخامسة عشر بتوقيت واشنطن من صباح يوم السبت الموافق 6 أكتوبر 1973 – (الواحدة والربع بعد الظهر بتوقيت القاهرة) – ، كنت مستغرقا فى نومى ، وإذا بى أفاجأ بمعاونى النشط سيسكو **Joseph J. Sisco** يقتحم حجرة نومى صائحا بأن الحرب على وشك الإشتعال بين إسرائيل وبلدين عربيين هما مصر وسوريا . وكان سيسكو واثقا بأن كل طرف قد أخطأ قراءة نوايا الآخر، وكان ذلك اسيقاظا مزعجا لى ، وقلت فى نفسى : أنه إذا أمكننى وضع أخطاء الطرفين أمامى الآن ، فقد يمكننى ضبط الأمور بينهما وهى فى بدايتها ، ولكن كان ذلك مبالغة فى تقدير قدراتى بعد أن تفاقمت الأمور بشكل متسارع لسوء الحظ".

إن ما دعا سيسكو إلى المبادرة بإيقاظ كيسينجر بهذا الشكل وفى وقت مبكر ، أن جولدا مائير استدعت السفير الأمريكى فى القدس إلى مكتبها قبل ساعتين . ويقول كيسينجر : كان ذلك شيئا غريبا وغير متوقع أن تعمل أو يعمل أى إسرائيلى فى مثل يوم السبت هذا ، فبالإضافة إلى كونه يوم سبت ، فهو يوم كيبور Yom Kippur – عيد يوم الغفران – أقدس يوم فى السنة العبرية . وطلبت جولدا مائير من السفير الأمريكى إرسال رسالة عاجلة إلى كيسينجر قالت فى بدايتها المفزعة startling : أن إسرائيل بدأت تواجه مصيرها ، وقد تتعرض لبعض المصاعب ، وأن تحركات القوات المصرية والسورية على الجبهتين الجنوبية والشمالية التى اعتقدنا أنها مجرد مناورات عسكرية اعتدنا عليها ، أخذت فجأة أوضاعا هجومية ، وبات أكيدا لدينا أن هجوما مصريا سوريا مشتركا سوف يشن علينا بعد ظهر اليوم . وطلبت جولدا مائير من السفير الأمريكى أن يتم إخبار الولايات المتحدة والإتحاد السوفييتى ودول الجوار العربى بصورة سريعة : بأن إسرائل ليست لديها أى نية لمهاجمة مصر وسوريا ، وبرهانا من إسرائيل على حسن نواياها فإنها لن تستدعى احتياطها ولن تعلن حالة التعبئة العامة .

وفى تمام الساعة السادسة وأربعين دقيقة صباحا (بتوقيت واشنطن) ، اتصل كيسينجر بالسفير السوفييتى بواشنطن أناتولى دوبرينين Anatoli Dobrynin ، الذى استيقظ من نومه وبدا عليه الذهول (أو تظاهر بذلك على حد قول كيسنجر) ، وحين أبلغه كيسينجر بضرورة الإتصال حالا بموسكو والقاهرة ودمشق وإبلاغهم بأن إسرائيل ليس لديها أى نية للهجوم ، كان رد دوبرنين عليه أن ذلك ليس سوى حلقة بمسلسل معروف تتمثل أحداثه فى نية إسرائيل بالقيام بهجوم سوف تسميه بالهجوم الوقائى pre-emptive attack ، فقاطعه كيسينجر بنفاذ صبر قائلا : " إذا استمر الحديث بيننا على هذا الشكل فقد تبدأ الحرب قبل أن تعرف مأأريده " .

وفى تمام الساعة السابعة صباحا بتوقيت واشنطن ، اتصل كيسينجر بوزير خارجية مصر محمد حسن الزيات الذى كان فى نيويورك ، ثم أعاد الإتصال به ليأخذ جوابا من القاهرة ، ثم أعاد الإتصال به للمرة الثالثة فى الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والثلاثين دون جدوى . وأخيرا اتصل به الزيات مجيبا على اتصالاته فى تمام الساعة الثامنة والربع صباحا ، لإبلاغه جواب القاهرة بأن الوحدات البحرية الإسرائيلية مدعمة بالطيران هى التى قامت بمهاجمة المواقع المصرية فى خليج السويس ، وتحاول مصر ردها على أعقابها . ولم يقل الزيات فى هذا الشأن بأكثر مما أعلنته إذاعة القاهرة على الشعب المصرى ،

حين قطعت برامجها المعتادة ، وأذاعت بيانا فى تمام الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر بتوقيت القاهرة بأن إسرائيل قد شنت هجوما على الزعفرانة بخليج السويس ، ثم أذاعت بيانا بعد ذلك فى تمام الساعة الثانية بعد الظهر (أى بعد نصف ساعة تماما) بأن القوات المسلحة المصرية تعبر قناة السويس أخذا بالثأر in reprisal . ولم يقنع هذا الكلام كيسينجر فقال للزيات : إن هذا شيئ غير مفهوم ، وأن بدأ إسرائيل بالعدوان وخرق وقف إطلاق النار هو أمر بعيد الإحتمال ، كما لايعقل أن تشن إسرائيل حربا فى يوم الغفران ، وهو من أقدس أيام السنة لديها ، ومن النادر أن تخوض حربا دون تعبئة مسبقة ، كما لايمكن أن تبدأ إسرائيل عدوانا بمعركة بحرية ضد أبعد هدف من حدودها ...!!

ونحو الساعة التاسعة والدقيقة العشرين بتوقيت واشنطن ، اتصل كيسينجر مرة أخرى بالسفير السوفييتى دوبرنين قائلا له : أن مصر وسوريا قامتا بهجوم مفاجئ . وعندما إعترض على قوله دوبرنين قائلا : أن الزيات يدعى عكس ذلك . أجابه كيسينجر بجفاء : أنت وأنا نعلم أن هذه خدعة مصرية سورية ، فلو كانت نية الإسرائيليين القيام بهجوم لما هاجموا خليج السويس ، ثم قال له متسائلا : كيف يبدأ المصريون والسوريون هجومهم فى نفس التوقيت وفى الدقيقة ذاتها وعلى جميع الخطوط إلا أن يك ون ذلك ضمن خطة متفق عليها وتم إعداها مسبقا ، وليس كرد فعل انتقامى على هجوم بحرى إسرائيلى كما تدعى مصر .

ثم حذر كيسينجر دوبرنين قائلا : "أن كل ماتم حتى الآن فى سبيل تحسين العلاقات بين موسكو وواشنظن يمكن طيه فى لحظة واحدة وكأنه لم يكن فى حالة احتدام الوضع فى الشرق الأوسط لصالح دول المواجهة العربية مع إسرائيل" !!



يقف فى الوسط أنور السادات رئيس جمهورية مصر (القائد السياسى للمعركة) ، وعلى يساره الفريق أول أحمد إسماعيل القائد السياسى كوزير للحربية والقائد العام ، وعلى يمينه الفريق سعد الدين الشاذلى القائد العسكرى الميدانى رئيس أركان حرب القوات المسلحة

وتحطمت أقاويل الخبثاء عن عجز الإنسان المصرى ، كما تحطمت أسطورة التفوق الإسرائيلى ، وسقط قناع الغرور الذى غطى وجه المؤسسة العسكرية الإسرائيلية ، فقد كان بالرجال شوق ولهفة إلى الإنطلاق وإلى الثأر والإنتقام . وبدأت حرب أكتوبر بانطلاقة العبور الجسورة لقناة السويس واقتحام خط بارليف الحصين وتدميره وأسر المحصنين به وقتلهم ، وكانت تلك الإنطلاقة أعظم سيمفونية عزفها أبطال مصر من المجندين وغير المجندين من كافة فئات الشعب وطبقاته .

وكانوا جميعا رجال آمنوا بنصر الله فنصرهم الله بقوة إيمانهم ، زلزل صياحهم بملء حناجرهم بكلمتى "الله أكبر" لحظة العبور كل أرجاء الدنيا والمكان ، فغطى على كل ضجيج قصف المدافع وصفير انطلاق الصواريخ ودوِى القنابل وانفجارات طوربيدات فتح الثغرات بحقول الألغام ، وطربت السماء لتكبيراتهم المدوِية كالرعد فسارعت ملائكة الرحمن تقف بين صفوفهم انتصارا للحق وإعلاءا لكلمة الله . وفرضت روح القتال العظيمة التى حارب بها شباب مصر على الدنيا كلها ، احتراما جديدا لقيمة الإنسان العربى .

وكان البطل الحقيقى فى العبور واقتحام خط بارليف المنيع شرق قناة السويس هو الإنسان المصرى العادى الذى كان فى مقدمته حملة المؤهلات العليا من المجندين .

حرب أكتوبر

في يوم 6 أكتوبر 1973 في الساعة 1405 (الثانية وخمس دقائق ظهراً) شن الجيشان المصري والسوري هجوما كاسحاً على إسرائيل، بطول الجبهتين، ونفذ الجيش المصري خطة "المآذن العالية" التي وضعها الفريق الشاذلي بنجاح غير متوقع، لدرجة أن الشاذلي يقول في كتابه "حرب أكتوبر": "في أول 24 ساعة قتال لم يصدر من القيادة العامة أي أمر لأي وحدة فرعية.. قواتنا كانت تؤدي مهامها بمنتهى الكفاءة والسهولة واليسر كأنها تؤدي طابور تدريب تكتيكي."

موقف سعد الدين الشاذلي من تطوير الهجوم

أرسلت القيادة العسكرية السورية مندوبا للقيادة الموحدة للجبهتين التي كان يقودها المشير أحمد إسماعيل علي تطلب زيادة الضغط على القوات الإسرائيلية على جبهة قناة السويس لتخفيف الضغط على جبهة الجولان، فطلب الرئيس السادات من إسماعيل تطوير الهجوم شرقًا لتخفيف الضغط على سوريا، فأصدر إسماعيل أوامره بذلك على أن يتم التطوير صباح 12 أكتوبر. عارض الفريق الشاذلي بشدة أي تطوير خارج نطاق الـ12 كيلو التي تقف القوات فيها بحماية مظلة الدفاع الجوي، وأي تقدم خارج المظله معناه أننا نقدم قواتنا هدية للطيران الإسرائيلي.

بناء على أوامر تطوير الهجوم شرقًا هاجمت القوات المصرية في قطاع الجيش الثالث الميداني (في اتجاه السويس) بعدد 2 لواء، هما اللواء الحادي عشر (مشاة ميكانيكي) في اتجاه ممر الجدي، واللواء الثالث المدرع في اتجاه ممر متلا.

في قطاع الجيش الثاني الميداني (اتجاه الإسماعيلية) هاجمت الفرقة 21 المدرعة في اتجاه منطقة "الطاسة"، وعلى المحور الشمالي لسيناء هاجم اللواء 15 مدرع في اتجاه "رمانة". كان الهجوم غير موفق بالمرة كما توقع الشاذلي، وانتهى بفشل التطوير، مع اختلاف رئيسي، هو أن القوات المصرية خسرت 250 دبابة من قوتها الضاربة الرئيسية في ساعات معدودات من بدء التطوير للتفوق الجوي الإسرائيلي.

بنهاية التطوير الفاشل أصبحت المبادأة في جانب القوات الإسرائيلية التي استعدت لتنفيذ خطتها المعدة من قبل والمعروفة باسم "الغزالة" للعبور غرب القناة، وحصار القوات المصرية الموجودة شرقها خاصة وأن القوات المدرعه التي قامت بتطوير الهجوم شرقا هي القوات التي كانت مكلفة بحماية الضفة الغربية ومؤخرة القوات المسلحة وبعبورها القنال شرقا وتدمير معظمها في معركة التطوير الفاشل ورفض السادات سحب ما تبقى من تلك القوات مرة أخرى إلى الغرب، أصبح ظهر الجيش المصري مكشوفا غرب القناة. فيما عرف بعد ذلك بثغرة الدفرسوار.

ولكن لابد هنا فى هذا المقام أن نذكر بالضرورة بطلا لكل أبطال هذه الحرب هو الفريق سعد الدين الشاذلى رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية ، القائد الجرئ الذى خطط بدقة عملية العبور التاريخية ، وقاد على الأرض سيمفونية العبور الرائعة بكل ثقة واقتدار، وهو الرجل العسكرى الصلب الذى لايلين مع الصعاب ، وهو البطل الذى قاد الإنسان المصرى العادى مع قادة الجيشين الميدانين الثانى والثالث إلى النصر بفضل الله ، وهو الذى شهد له الجميع – أعداؤه قبل أصدقائه – بالجرأة والد تميز فى كافة فنون القتال والحرب والمناورة بالقوات ، وبالقدرة الفائقة على اتخاذ القرار المناسب فى الوقت المناسب أثناء سير العمليات العسكرية على الأرض .

وهو الذى وضعت أكثر المجلات انتشارا فى العالم الغربى صورته على غلافها بعد الحرب باعتباره القائد المصرى المنتصر ، مما أثار حفيظة السادات عليه فعمد إلى تهميش دوره فى معركة الثأر بمذكراته التى سماها "البحث عن الذات" ، فسار على نهجه بعد ذلك الإعلام المصرى الرسمى المنافق ، الذى كان يتعمد تجاهل دوره الأهم بمعركة الثأر مع كل قدوم سنوى لعيد النصر فى 6 أكتوبر ، وهو – أى الشاذلى – الذى قاد على أرض معركة الثأر كل القوات المصرية (برية وجوية وبحرية) Chief of Staff ، وكان يقابله من جهة العدو بالجيش الإسرائيلى دافيد إليعازر David Elazar ، الذى شهد له بتميزه كقائد عسكرى ميدانى أثناء تلك المعركة التاريخية !! .. رحم الله الفريق الشاذلى وأسكنه فسيح جناته ، فقد توفى إلى رحمة الله أثناء ثورة الشعب المصرى وقبل خلع مبارك عن عرشه وإسقاط نظامه الفاسد فى 11 فبراير العام الحالى 2011 بيوم واحد ..

وإن كانت كارثة التجهيل الغبية المتغابية لدور البطل سعد الدين الشاذلى فى معركة الثأر ، بدأت أيام حكم السادات لمصر ، فقد تعاظمت تلك الكارثة واكتملت مع تولى حسنى مبارك حكم مصر بعد اغتيال السادات ، فبدأ التهليل الإعلامى المصطنع للرئيس الجديد ، وهو الدور الوحيد الذى اعتدناه دائما من الإعلام المصرى الرسمى الذى يسمونه زورا وبهتانا بالإعلام القومى ، وهو الدور الذى أتقنه هذا الإعلام باعتباره الحاشية الملازمة والتابع المنافق لكل حاكم

، وهو الذى زاد إتقانه لهذا الدور المعيب المرذول مع طول الزمن والتعود على فن الإخفاء المتعمد للحقائق ، فأجاد تزوير الوقائع وتميز فى اصطناع البطولات المزيفة لكل حاكم لمصر يأتى عن طريق الصدفة البحتة ، أو يأتى عن طريق الغلبة والوصاية أو التوارث . فحين صار "الرئيس" مبارك رئيسا فجأة ، صارت صورته الإعلامية النمطية حتى رحيله وخلعه بثورة الشعب عليه وعلى نظامه فى يناير 2011 ..

تقوم على أنه "صاحب الضربة الجوية" التى أدت إلى نصر أكتوبر 1973 ، فكان ذلك كما يقول الدكتور يوسف زيدان تحقيرا لقرابة مليون شخص كانوا يحاربون تلك الحرب ويموتون من أجل النصر، وكان ذلك أيضا تحقيرا للتفكير المنطقى البسيط القائل بأن "العبور" هو إنجاز لسلاح المهندسين ، وكان ذلك أيضا تجهيلا متعمدا لدور القائد البطل الفريق سعد الدين الشاذلى الذى كان قائدا لكل القوات بما فيها القوات الجوية بقائدها اللواء حسنى مبارك الذى اصطنع له الإعلام المصرى المنافق دور البطولة و "صاحب الضربة الجوية" ، ونسى هذا الإعلام المنافق أو تناسى أن الثغرة – التى سوف نتحدث عنها فى الحلقات القادمة – ووقفت علقما مرا مريرا فى حلق انتصارنا ، كانت بسبب التدخل المعيب من السادات فى الشأن العسكرى أثناء سير العمليات العسكرية على أرض المعركة ، وأيضا بسبب عدم كفاءة وقدرة الطيران المصرى على التصدى للمدرعات الإسرائيلية وقصفها أثناء تسللها لضفة قناة السويس الغربية من ثغرة الدفرسوار بغرض عزل الجيش الثالث الميدانى وحصاره بالضفة الشرقية للقناة ...

وللحقيقة نقول أن معركة الثأر يوم 6 أكتوبر 1973 ، قد بدأت بضربة جوية خاطفة مفاجئة لمجرد رفع معنويات الجنود الأبطال المتأهبين للحظة العبور، وكان هذا هو الهدف الرئيسى منها . كما كان المطلوب منها هو استغلال عنصر المفاجأة وضرورة تقصير وقت الضربة الجوية إلى أقل وقت ممكن ، لتجنب اصطدام الطيران المصرى اصطداما كارثيا بطيران العدو المتفوق ، ولأن استمرارها لوقت أطول فى الجو كان يعنى تحييدا وتعطيلا مرفوضا لمنظومة الدفاع الجوى المصرى ، التى كانت صاحبة الدور الأهم والأساسى فى حماية فضاء العبور وسماء معركة الثأر من تدخل طيران العدو . ويقول المؤرخ العسكرى جمال حماد (المصدر : كتابه "المعارك الحربية على الجبهة المصرية" ص 88 ،90) : أن الطائرات المصرية عادت بعد 20 دقيقة فى تمام الساعة الثانية وعشرين دقيقة ، بعد أداء مهمتها خلال ممرات جوية محدودة تم الإتفاق عليها من قيادة القوات الجوية وقيادة الدفاع الجوى من حيث الوقت والإرتفاع . واشترك فى تلك الضربة حوالى 200 طائرة مقاتلة مصرية عبرت على ارتفاع منخفض جدا فوق خط قناة السويس وفوق خليج السويس ، وضربت بصواريخها بعض بطاريات الدفاع الجوى الإسرائيلى

وبعض الرادارات والمطارات ومراكز القيادة والإمداد والتموين الخلفية بسيناء ، وألحقت بهم بعض الخسائر المحدودة على حسب قول المؤرخ العسكرى الإنجليزى Simon Dunstan فى كتابه ص 39 ، 40 / الناشر : Osprey Publishing Ltd. 2003 UK ، وأسقطت إسرائيل منهم 40 طائرة فى اشباكات جوية وبصواريخ أرض جو .

فى حين حلقت قاذفتان تيبيلوف مصريتان TU-16 بالقرب من تل أبيب فى رسالة واضحة للتأثير النفسى والمعنوى على العدو بقدرة مصر على الردع فى العمق العمرانى ، وأطلقت القاذفتان صاروخين AS-5 Kelt إطلاقا عشوائيا ، سقط أحدهما بالبحر ، وسقط الآخر بالمقاتلات الإسرائيلية . كما هاجمت 14 طائرة قاذفة أخرى طراز تيبيلوف أهدافا إسرائيلية بصحراء سيناء بصواريخ Kelt وحققت بعض النجاح المحدود .

ويقول الفريق الشاذلى بمذكراته : أنه " بمجرد عبور قواتنا الجوية لخط القناة بدأت مدفعيتنا عملية القصف التحضيرى المكثف على مواقع العدو شرق القناة – (اشترك فى عملية القصف أكثر من 2000 مدفع هاوتزر ومورتار وصواريخ أرض–أرض كاتيوشا وفروج Frog ، كما شـ اركت فى القصف بعض الدبابات التى تسلقت إلى مرابضها السابقة التجهيز فوق الساتر الترابى على الضفة الغربية للقناة – المصدر السابق).

وفى الوقت نفسه وقبل موجات عبور المشاة تسللت عناصر استطلاع المهندسين وعناصر من الصاعقة إلى الشاطئ الشرقى للقناة للتأكد من تمام إغلاق المواسير التى تنقل السائل المشتعل إلى سطح القناة " ، ولفتح الثغرات بالساتر الترابى . ويقول الشاذلى : وبينما كانت تلك الأعمال جميعها تتم بنجاح كان الجميع ينتظرون أخبار عبور المشاة حيث أن ذلك هو الذى سيحدد مصير المعركة ، وبينما كنا ننتظر وكان على رءوسنا الطير وصلت المعلومات بتمام عبور الموجة الأولى ، وأخذت المعلومات عن عبور الموجات التالية تتوالى وفى توقيتتات تتطابق تماما مع توقعاتنا ، وفى الساعة 1830 (السادسة والنصف مساءا) من يوم 6 أكتوبر كان قد عبر إلى الشاطئ الآخر 2000 ضابط و 30 ألف رجل من خمس فرق مـ شاة واحتفظوا بخمسة رءوس كبارى قاعدة كل منها بطول يتراوح بين 6 ،8 كم وعمق يتراوح بين 3 ، 5 كم ... "

سعد الدين الشاذلى

وثغرة الدفرسوار

اكتشفت طائرة استطلاع أمريكية لم تستطع الدفاعات الجوية المصرية إسقاطها بسبب سرعتها التي بلغت ثلاث مرات سرعة الصوت وارتفاعها الشاهق وجود ثغرة بين الجيش الثالث في السويس والجيش الثاني في الإسماعيلية، وقام الأمريكان بإبلاغ إسرائيل ونجح أرئيل شارون قائد إحدى الفرق المدرعة الإسرائيلية بالعبور إلى غرب القناة من الثغرة بين الجيشين الثاني والثالث، عند منطقة الدفرسوار القريبة من البحيرات المرة بقوة محدودة ليلة 16 أكتوبر، وصلت إلى 6 ألوية مدرعة، و3 ألوية مشاة مع يوم 22 أكتوبر . احتل شارون المنطقة ما بين مدينتي الإسماعيلية والسويس، ولم يتمكن من احتلال أي منهما وكبدته القوات المصرية والمقاومة الشعبية خسائر فادحة.

تم تطويق الجيش الثالث بالكامل في السويس، ووصلت القوات الإسرائيلية إلى طريق السويس القاهرة، ولكنها توقفت لصعوبة الوضع العسكري بالنسبة لها غرب القناة خصوصا بعد فشل الجنرال شارون في الاستيلاء على الإسماعيلية وفشل الجيش الإسرائيلى في احتلال السويس مما وضع القوات الإسرائيلية غرب القناة في مأزق صعب وجعلها محاصرة بين الموانع الطبيعية والاستنزاف والقلق من الهجوم المصري المضاد الوشيك.

في يوم 17 أكتوبر طالب الفريق الشاذلي بسحب عدد 4 ألوية مدرعة من الشرق إلى الغرب ؛ ليزيد من الخناق على القوات الإسرائيلية الموجودة في الغرب، والقضاء عليها نهائيًّا، علماً بأن القوات الإسرائيلية يوم 17 أكتوبر كانت لواء مدرع وفرقة مشاة فقط وتوقع الفريق الشاذلي عبور لواء إسرائيلي إضافي ليلا لذا فطالب بسحب عدد 4 ألوية مدرعة تحسبا لذلك وأضاف أن القوات المصرية ستقاتل تحتة مضلة الدفاع الجوي وبمساعدة الطيران المصري وهو ما يضمن التفوق المصري الكاسح وسيتم تدمير الثغرة تدميرا نهائيا وكأن عاصفة هبت على الثغرة وقضت عليها (حسب ما وصف الشاذلي)، وهذه الخطة تعتبر من وجهة نظر الشاذلي تطبيق لمبدأ من مبادئ الحرب الحديثة، وهو " المناورة بالقوات" ، علما بأن سحب هذه الألوية لن يؤثر مطلقًا على أوضاع الفرق المشاة الخمس المتمركزة في الشرق.

لكن السادات وأحمد إسماعيل رفضا هذا ا لأمر بشدة، بدعوى أن الجنود المصريين لديهم عقدة نفسية من عملية الانسحاب للغرب منذ نكسة 1967، وبالتالي رفضا سحب أي قوات من الشرق للغرب، وهنا وصلت الأمور بينهما وبين الشاذلي إلى مرحلة الطلاق.

خريطة رقم ٢

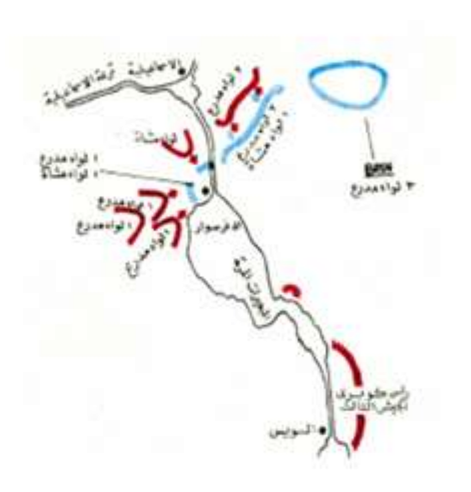
<u>توزيع القوات ليلة ١٧/١٦ أكتوبر ١٩٧٣</u>



- فرقة BREN مكونة من ثلاثة ألوية مدرعة
- فرقة SHARON مكونة من لوائين مدرعين و لواء مشاة عبر منها لواء مشاة إلى الغربو باقي منها لواء مدرع في الشرق
- قوات الجيش الثاني شرق القناة (١٠ لواء مشاة ، ٤ لواء مدرع، ١٢ كتيبة دبابات ، ٣ كتيبة BMP ، ٤ كتيبة مالونكا، ٣ كتيبة مدفعية مضادة للدبابات) يقوم العدو بتثبيتها بقوة ٢ لواء مدرع، لواء مشاة
- قوات الجيش الثالث شرق القناة (٩ لواء مشاة، ٣ كتيبة مالتوكا، ٢ كتيبة مدفعية مضادة للدبابات) يقوم العدو بتثبيتها بقوة لواء مدرع
- قطاع الإختراق (الدفرسوار): للعدو غرب القناة لواء مدرع ، لواء مشاة و لة شرق القناة في إتجاة في إتجاة الدفرسوار ٤ لواء مدرع و >لك في المواجهة لواء مشاة مصري واحد غرب القناة في إتجاة الدفرسوار

خريطة رقم ٣

<u>معركة الدفرسوار كما كان يريدها الفريق الشاذلي يوم ١٧ أكتوبر</u>



منطقة العمليات	قواتنا			العدو		نسبة المدرعات
	لواء مشاة	لواء مدرع	كتيبة دبابات	لواء مشاة	لواء مدرع	:
الدفرسوار	٢	٥	١	٢	٣	٢ : ١
باقي مواجهة الجيش	١٠	٢	١٢		١	٦ : ١
الجيش الثالث	٨	١	١٠		١	٤ : ١
إحتياطي العمليات					٣	
إجمالي	٢٠	٨	٢٢	٢	٨	٢ : ١

ملاحظات :

١. نسبة تفوقنا في المدرعات طبقا لهذة الخطة سوف تكون ٣ : ١ غرب القناة

٢. ليس من المنتظر أن يقوم العدو بدفع فرقة BREN إلى غرب القناة في الوقت الذي لم يكن قد اتم فيه بناء أي كبري حتى ذلك الوقت

شرق القناة في إتجاة في إتجاة الدفرسوار ٤ لواء مدرع و <لك في المواجهة

لواء مشاة مصري واحد غرب القناة في إتجاة الدفرسوار

خريطة رقم ٤

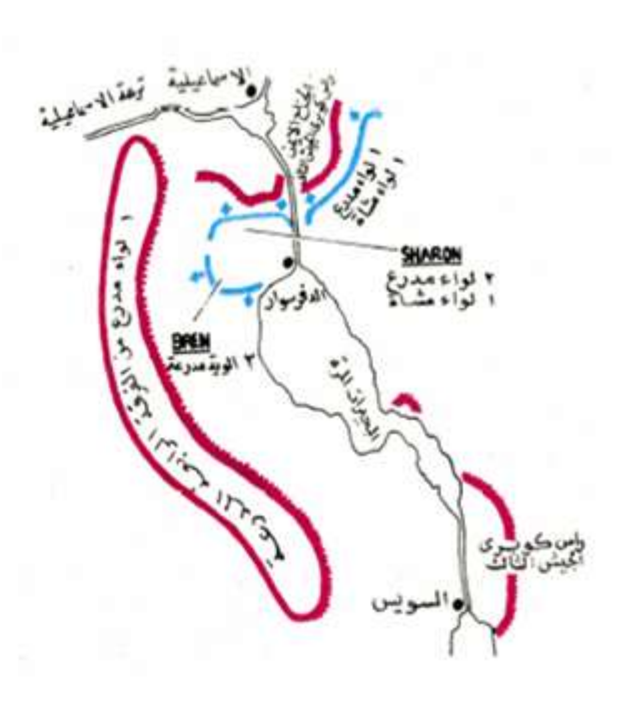
معركة الدفرسوار يوم ١٧ أكتوبر ١٩٧٣



منطقة العمليات	قواتنا			العدو		نسبة المدرعات
	لواء مشاة	لواء مدرع	كتيبة دبابات	لواء مشاة	لواء مدرع	:
الدفرسوار	١	٣	١	٢	٦	١ : ٢
باقي مواجهة الجيش	١٠	٢	١٢		١	٦ : ١
الجيش الثالث	٩	٢	١٠		١	٥ : ١
إحتياطي العمليات		١				
إجمالي	٢٠	٨	٢٣	٢	٨	٢ : ١

خريطة رقم ٥

الموقف في منطقة الدفرسوار مساء ١٨ أكتوبر ١٩٧٣



منطقة العمليات	قواتنا: لواء مشاة	قواتنا: لواء مدرع	قواتنا: كتيبة دبابات	العدو: لواء مشاة	العدو: لواء مدرع	نسبة المدرعات
الدفرسوار	١			١	٥	١ : ٥
باقي مواجهة الجيش	١٠	٤	١٢	١	٢	٤ : ١
الجيش الثالث	٩	٢	١٠		١	٥ : ١
إحتياطي العمليات		١				
إجمالي	٢٠	٧	٢٢	٢	٨	٢ : ١

خريطة رقم ٦

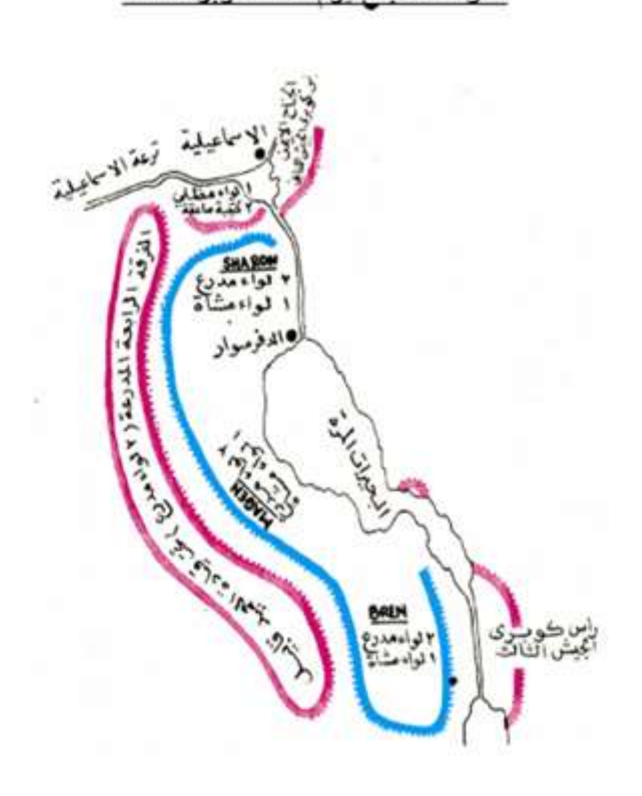
<u>الموقف في منطقة الدفرسوار مساء ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣</u>



نسبة المدرعات	العدو		قواتنا			منطقة العمليات
:	لواء مدرع	لواء مشاة	كتيبة دبابات	لواء مدرع	لواء مشاة	
٣ : ١	٦	٢		٢	٢	الدفرسوار
١ : ٤	٢	٢	١٢	٤	١٠	باقي مواجهة الجيش
١ : ٤	١	٢	١٠	١	٨	الجيش الثالث
١ : ٢	٨	٢	٢٢	٧	٢٠	إجمالي

خريطة رقم ٧

الموقف صباح يوم ٢٥ أكتوبر ١٩٧٣



منطقة العمليات	قواتنا			العدو		نسبة المدرعات
	لواء مشاة	لواء مدرع	كتيبة دبابات	لواء مشاة	لواء مدرع	:
الجيب الإسرائيلي	٢	٢		٢	٦	٣ : ١
الجيش الثاني	١٠	٤	١٢	٢	٢	١ : ٤
الجيش الثالث	٨	١	١٠	٣	١	١ : ٤
إجمالي	٢٠	٧	٢٢	٧	٩	١ : ١,٥

خروج سعد الدين الشاذلى من الجيش



الفريق الشاذلي سفيرا لمصر في إنجلترا

في 13 ديسمبر 1973 م وفي قمة عمله العسكري بعد حرب أكتوبر تم تسريح الفريق الشاذلي من الجيش بواسطة الرئيس أنور السادات وتعيينه سفيراً لمصر في إنجلترا ثم البرتغال.

في عام 1978 انتقد الشاذلي بشدة معاهدة كامب ديفيد وعارضها علانية مما جعله يتخذ القرار بترك منصبه ويذهب إلى الجزائر كلاجئ سياسي.

في المنفى كتب الفريق الشاذلي مذكراته عن الحرب والتي اتهم فيها السادات باتخاذ قرارات خاطئة رغماً عن جميع النصائح من المحيطين أثناء سير العمليات على الجبهة أدت إلى التسبب في الثغرة وتضليل الشعب بإخفاء حقيقة الثغرة وتدمير حائط الصواريخ وحصار الجيش الثالث لمدة فاقت الثلاثة أشهر كانت تصلهم الإمدادات تحت إشراف الجيش الإسرائيلي.

كما اتهم في تلك المذكرات الرئيس السادات بالتنازل عن النصر والموافقة على سحب أغلب القوات المصرية إلى غرب القناة في مفاوضات فض الاشتباك الأولى وأنهى كتابه ببلاغ للنائب العام يتهم فيه الرئيس السادات بإساءة استعمال سلطاته وهو الكتاب الذي أدى إلى محاكمته غيابيا بتهمة إفشاء أسرار عسكرية وحكم عليه بالسجن ثلاثة سنوات مع الأشغال الشاقة ووضعت أملاكه تحت الحراسة ,كما تم حرمانه من التمثيل القانونى وتجريده من حقوقه السياسية.

نص خطاب الذي وجهه الفريق الشاذلي إلى النائب العام

السيد النائب العام:

تحية طيبة.. وبعد، أتشرف أنا الفريق سعد الدين الشاذلي رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية في الفترة ما بين 16 مايو 1971 وحتى 12 ديسمبر1973 ، أقيم حاليا بالجمهورية الجزائرية الديمقراطية بمدينة الجزائر العاصمة وعنواني هو صندوق بريد رقم 778 الجزائر– المحطة b.p 778 alger. Gare بأن اعرض على سيادتكم ما يلي:

أولا: إني أتهم السيد محمد أنور السادات رئيس جمهورية مصر العربية بأنه خلال الفترة ما بين أكتوبر 1973 ومايو1978 ، وحيث كان يشغل منصب رئيس الجمهورية والقائد الأعلى للقوات المسلحة المصرية بأنه ارتكب الجرائم التالية:

الإهمال الجسيم

وذلك أنه وبصفته السابق ذكرها أهمل في مسئولياته إهمالا جسيما واصدر عدة قرارات خاطئة تتعارض مع التوصيات التي أقرها القادة العسكريون، وقد ترتب على هذه القرارات الخاطئة ما يلي:

1. نجاح العدو في اختراق مواقعنا في منطقة الدفرسوار ليلة 16/15 أكتوبر 1973 في حين أنه كان من الممكن ألا يحدث هذا الاختراق إطلاقا.
2. فشل قواتنا في تدمير قوات العدو التي اخترقت مواقعنا في الدفرسوار، في حين أن تدمير هذه القوات كان في قدرة قواتنا، وكان تحقيق ذلك ممكنا لو لم يفرض السادات على القادة العسكريين قراراته الخاطئة.
3. نجاح العدو في حصار الجيش الثالث يوم 23 أكتوبر 1973 ، في حين أنه كان من الممكن تلافي وقوع هذه الكارثة.

تزييف التاريخ

وذلك أنه بصفته السابق ذكرها حاول ولا يزال يحاول أن يزيف تاريخ مصر، ولكي يحقق ذلك فقد نشر مذكراته في كتاب أسماه البحث عن الذات وقد ملأ هذه المذكرات بالعديد من المعلومات الخاطئة التي تظهر فيها أركان التزييف المتعمد وليس مجرد الخطأ البريء.

الكذب

وذلك أنه كذب على مجلس الشعب وكذب على الشعب المصري في بياناته الرسمية وفي خطبه التي ألقاها على الشعب أذيعت في شتى وسائل الإعلام المصري. وقد ذكر العديد من هذه الأكاذيب في مذكراته البحث عن الذات ويزيد عددها على خمسين كذبة، أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

1. إدعاءه بأن العدو الذي اختر ق في منطقة الدفرسوار هو سبعة دبابات فقط واستمر يردد هذه الكذبة طوال فترة الحرب.
2. إدعاءه بأن الجيش الثالث لم يحاصر قط في حين أن الجيش الثالث قد حوصر بواسطة قوات العدو لمدة تزيد على ثلاثة أشهر.

الادعاء الباطل

وذلك أنه ادعى باطلا بأن الفريق الشاذلي رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية قد عاد من الجبهة منهارا يوم 19 أكتوبر 1973 ، وأنه أوصى بسحب جميع القوات المصرية من شرق القناة، في حين أنه لم يحدث شيء من ذلك مطلقا.

إساءة استخدام السلطة

وذلك أنه بصفته السابق ذكرها سمح لنفسه بان يتهم خصومه السياسيين بادعاءات باطلة، واستغل وسائل إعلام الدولة في ترويج هذه الادعاءات الباطلة. وفي الوقت نفسه فقد حرم خصومه من حق استخدام وسائل الإعلام المصرية التي تعتبر من الوجهة القانونية ملكا للشعب للدفاع عن أنفسهم ضد هذه الاتهامات الباطلة.

ثانيا: إني أطالب بإقامة الدعوى العمومية ضد الرئيس أنور السادات نظير ارتكابه تلك الجرائم ونظرا لما سببته هذه الجرائم من أضرار بالنسبة لأمن الوطن ونزاهة الحكم.

ثالثا: إذا لم يكن من الممكن محاكمة رئيس الجمهورية في ظل الدستور الحالي على تلك الجرائم، فإن أقل ما يمكن عمله للمحافظة على هيبة الحكم هو محاكمتي لأنني تجرأت واتهمت رئيس الجمهورية بهذه التهم التي قد تعتقدون من وجهة نظركم أنها اتهامات باطلة. إن البينة على من ادعى وإني أستطيع- بإذن الله- أن أقدم البينة التي تؤدى إلى ثبوت جميع هذه الادعاءات وإذا كان السادات يتهرب من محاكمتي, على أساس أن المحاكمة قد تترتب عليها إذاعة بعض الأسرار، فقد سقطت قيمة هذه الحجة بعد أن قمت بنشر مذكراتي في مجلة "الوطن العربي" في الفترة ما بين ديسمبر 1978 ويوليو 1979 للرد على الأكاذيب والادعاءات الباطلة التي وردت في مذكرات السادات. لقد اطلع على هذه المذكرات واستمع إلى محتوياتها عشرات الملايين من البشر في العالم العربي ومئات الألوف في مصر.

شهادة المشير الجمسي

يقول المشير محمد عبد الغني الجمسي رئيس هيئة العمليات أثناء حرب اكتوبر في مذكراته (مذكرات الجمسي) حرب اكتوبر 1973م صفحة . 421 .

لقد عاصرت الفريق الشاذلي خلال الحرب، وقام بزيارة الجبهة أكثر من مرة، وكان بين القوات في سيناء في بعض هذه الزيارات. وأقرر أنه عندما عاد من الجبهة يوم 20 أكتوبر لم يكن منهاراً، كما وصفه الرئيس السادات في مذكراته (البحث عن الذات ص 348) بعد الحرب. لا أقول ذلك دفاعاً عن الفريق الشاذلي لهدف أو مصلحة، ولا مضاداً للرئيس السادات لهدف أو مصلحة، ولكنها الحقيقة أقولها للتاريخ.

عودته إلى مصر

عاد عام1992 م إلى مصر بعد 14 عاماً قضاها في المنفى بالجزائر وقبض عليه فور وصوله مطار القاهرة وصودرت منه جميع الأوسمة والنياشين وأجبر على قضاء مدة الحكم عليه بالسجن دون محاكمة رغم أن القانون المصري ينص على أن الأحكام القضائية الصادرة غيابياً لابد أن تخضع لمحاكمة أخرى.

أسرار الدولة وأسرار الحكومة

لم أفش أي أسرار عسكرية:

يقول الشاذلى : إن اتهامي أمام محكمة عسكرية بأنني أفشيت أسرارا عسكرية في كتابي الذي نشرته عن حرب اكتوبر سنة 1979. هو اتهام باطل لا يستند إلى أي دليل. أني أتحدى من يدعي بغير ذلك أن يذكر معلومة محددة يعتقد انها– من وجهة نظره– تعتبر معلومة عسكرية سرية.

لقد جاء في تعليق مدير إدارة القضاء العسكري الذي نشر في مجلة المجلة بتاريخ 24 أكتوبر 93 "أن الفريق الشاذلي بصفته العسكرية كرئيس للأركان قد أفشى أسرارا عن اسلحة ومعدات وخطط ومعلومات عن تشكيلات وتحركات وافراد وعتاد واستراتيجيات وتكتيكات القوات المسلحة المصرية. وذلك من خلال ما كتبه في الخارج من مقالات نشرت في مجلة الوطن العربي بالإضافة إلى كتاب صدر في باريس تحت عنوان حرب اكتوبر، دون إذن خطي من السلطات العسكرية المختصة كما يوجب القانون " وأرى أن الجملة الوحيدة الصادقة في كل هذا التصريح هي أنني لم احصل على تصريح كتابي من وزارة الدفاع بنشر كتابي عن حرب اكتوبر. أما كل ما جاء على لسان مدير إدارة القضاء العسكري من اتهامات اخرى فهي ادعاءات باطلة لا تستند إلى أي دليل.

نعم لم أطلب تصريحا من وزارة الدفاع لأني أرى أن أي قرار أو قانون يفرض على الأشخاص ضرورة الحصول على إذن مسبق من

القيادة العامة للقوات المسلحة، قبل إجراء أي حديث أو قبل نشره هو إجراء غير دستوري ويتعارض مع مبدأ حرية الرأي التي كفلها الدستور لكافة المواطنين. وان كل ما تستطيع السلطة التنفيذية عمله- إذا افترضنا احترامها للدستور- هو أن ترفع الدعوى ضد من تعتقد أنه أفشى اسرارا عسكرية. ثم يترك الأمر بعد ذلك للقضاء للفصل في الدعوى.

نعم لم اطلب تصريحا من وزير الحربية لأنني على قناعة بأني لست اقل منه علما أو وطنية عند تقييمي لما اكتب، من حيث أن ما اكتبه يمكن أن يستفيد منه العدو في تهديد أمن وسلامة وطني. وإذا علمنا بالكم الهائل من المقالات والكتب التي يتحتم عرضها على وزارة الحربية لاحتوائها على موضوعات عسكرية. وان الوزير وكبار معاونيه لا يستطيعون مراجعة كل هذه المقالات والكتب. وان الأمور عادة ما تنتهي بإحالة هذه الكتب والمقالات إلى ضباط ينقصهم العلم والخبرة،

اتضحت لنا خطورة النتائج التي يمكن أن تسفر عنها مثل هذه الرقابة. والتي عادة ما تتمسك بالشكل دون المضمون. والتي قد تخضع احيانا لعوامل شخصية وتصفية حسابات قديمة. أو قد تتأثر بموقف انتهازي من الضابط الرقيب إذا شعر أن رفضه التصريح بنشر كتاب لمؤلف ما، قد يرضى رئيسه، نظرا لما يعلمه من وجود خلافات سابقة بين المؤلف وبين رئيس الضابط الرقيب.

نعم رفضت طلب التصريح بالنشر من وزير الحربية، لأن كتابي عن حرب أكتوبر كان مليئا بالنقد اللاذع لرئيس الجمهورية ولوزير الحربية. ولأنني طالبت في هذا الكتاب بإلغاء منصب القائد العام للقوات المسلحة، وإبعاد وزير الحربية عن القرارات العسكرية.

وجهت للفريق للشاذلي تهمتان:

التهمة الأولى : هي نشر كتاب بدون موافقة مسبقة عليه، واعترف "الشاذلي" بارتكابها.

التهمة الثانية : فهي إفشاء أسرار عسكرية في كتابه، وأنكر الشاذلي صحة هذه التهمة الأخيرة بشدة، بدعوى أن تلك الأسرار المزعومة كانت أسرارا حكومية وليست أسرارا عسكرية.

وأثناء تواجده بالسجن، نجح فريق المحامين المدافع عنه في الحصول على حكم قضائى صادر من أعلى محكمة مدنية وينص على أن الإدانة العسكرية السابقة غير قانونية وأن الحكم العسكري الصادر ضده يعتبر مخالفاً للدستور. وأمرت المحكمة بالإفراج الفورى عنه. رغم ذلك، لم ينفذ هذا الحكم الأخير وقضى سنة ونص في السجن، وخرج بعدها ليعيش بعيداً عن أي ظهور رسمي.

ظهر بعدها في بعض القنوات الفضائية كمحلل عسكري وفي البرامج التي تناولت حرب أكتوبر في أواخر التسعينات القرن الماضي. أبرز ظهور إعلامي له كان على قناة الجزيرة في 6 فبراير 1999 في حلقات مطولة من برنامج شاهد على العصر مع أحمد منصور.

الجدير بالذكر أن الفريق الشاذلى هو الوحيد من قادة حرب أكتوبر الذي لم يتم تكريمه بأى نوع من أنواع التكريم, وتم تجاهله في الاحتفالية التي أقامها مجلس الشعب المصري لقادة حرب أكتوبر والتي سلمهم خلالها الرئيس أنور السادات النياشين والأوسمة كما ذكر هو بنفسه في كتابه مذكرات حرب أكتوبر. على الرغم من الدوره الكبير في إعداد القوات المسلحة المصرية, وفى تطوير وتنقيح خطط الهجوم والعبور، واستحداث أساليب جديدة في القتال وفى استخدام التشكيلات العسكرية المختلفة، وفى توجيهاته التي تربى عليها قادة وجنود القوات المسلحة المصرية.

ذكر الفريق الشاذلي في مذكراته بأنه قد تم منحه نجمة الشرف أثناء عمله كسفير في إنجلترا من قبل مندوب من الرئيس السادات.

يقول الفريق الشاذلي : في عام 1974 وبينما كنت سفيراً لمصر في لندن حضر الي مكتبي ذات يوم الملحق الحربي المصري وهو يكاد ينهار خجلاً.. كان متردداً وهو يحاول أن يتكلم إلى أن شجعته على الكلام فقال : سيادة الفريق .. أني لا أعرف كيف أبدأ وكم كنت أتمنى ألا اجد نفسي أبدا في هذا الموقف ولكنها الأوامر صدرت إلي لقد طلب مني ان أسلم إليكم نجمة الشرف التي أنعم عليكم بها رئيس الجمهورية.

استلمت منه الوسام في هدوء وأنا واثق أن مصر وليس (السادات حاكم مصر) سوف يكرمني في يوم من الأيام بعد أن تعرف حقائق وأسرار حرب أكتوبر .ليس التكريم هو أن أمنح وساماً في الخفاء ولكن التكريم هو أن يعلم الشعب بالدور الذي قمت به. سوف يأتي هذا اليوم مهما حاول السادات تأخيرة ومهما حاول السادات تزوير التاريخ.

آراءه فى الغزو الأمريكى

على العراق

الضربة الأمريكية ضد العراق .. متي وكيف ستكون

مهمة العراق الرئيسية في تلك الحرب رفع ثمن الانتصار الأمريكي إلي نقطة الردع الذي يدفع أمريكا إلي إيقاف الحرب

– إن جميع التصريحات التي تصدر عن الرئيس الأمريكي جورج دابليو بوش ووزرائه والكونجرس الأمريكي تؤكد أن الإدارة الأمريكية الحالية مصممة علي توجيه ضربة عسكرية ضد العراق بهدف إسقاط النظام وإقامة نظام بديل موال لأمريكا.

– أما كيف ومتي ستكون هذه الضربة فهو ما تقوم الإدارة الأمريكية بدراسته. والخيار الأفضل الذي تبحث عنه ، هو ذلك الذي يحقق لها ما يلي:

(أ) أن يتم تنفيذه بأقل خسائر بشرية ممكنة.

(ب) أن يتم تنفيذه بأقل أموال ممكنة.

(ج) أن يتم تنفيذه في أقل وقت ممكن.

(د) أن يحظى هذا الخيار بأكبر قدر ممكن من التأييد الدولي والعربي والإسلامي.

الخيار الأول

"توجيه ضربات جوية وقصفات صاروخية إلى الأهداف العسكرية والاقتصادية والبنية التحتية بهدف كسر إرادة القيادة العراقية وإرغامها على التسليم. وفي نفس الوقت تقوم بعض القوات الخاصة وميلشيات من المعارضة الشعبية في الجنوب والكردية في شمال العراق بأعمال تخريبية ضد أهداف منتقاة في عمق العراق."

مزايا هذا الخيار (من وجهة النظر الأمريكية):

1- يمكن تحقيقه بأقل خسائر بشرية أمريكية ...بل يمكن القول بدون خسائر بشرية إطلاقا -حيث أن التفو ق الأمريكي الساحق في القوات الجوية وضعف إمكانيات الدفاع الجوي العراقي عن مجابهة تلك الهجمات. ويشهد على ذلك نتائج الغارات الجوية التي تمارسها القوات الجوية الأمريكية ضد العراق لفرض نظام حظر الطيران شمال وجنوب خطوط العرض 33 ، 36 شمالا - والتي تتم بشكل شبه يومي تقريبا دون أن تتمكن وسائل الدفاع الجوي العراقي من إسقاط طائرة واحدة. وكما يشهد على ذلك أيضا نتائج الغارات الجوية الأمريكية على يوغوسلافيا في الفترة من 3/24 حتى 1999/6/10.

2- التكاليف المالية لمثل هذه الحر ب سيكون قليلا ، وإذا ما قورن بتكاليف حرب شاملة تشارك فيها القوات البرية والبحرية والجوية كما حدث في حرب الخليج الثانية عام 1991. وقياسا على تكاليف الحرب في يوغوسلافيا والتي تكلفت فيها أمريكا 15 مليار دولار ، فإن هذه الحرب المحتملة ضد العراق يمكن أن تكون في حدود 50 مليار دولار .. في حين أن حرب الخليج الثانية عام 1991 تكلفت 94 مليار دولار.

3- تنفيذ هذا الخيار لا يحتاج إلى وقت طويل للحشد وذلك نظرا لوجود قواعد جوية وبحرية أمريكية في كثير من الدول المحيطة بالعراق. وفي استطاعة القوات الجوية والبحرية الأمريكية أن تستكمل حشودها حول العراق – إذا أرادت ذلك – في منتصف شهر نوفمبر الحالي.

4- هذا الخيار يـ مكن أن يكون أكثر قبولا لدى الرأي العام العالمي ولدي بعض الأنظمة العربية من الخيار الثاني الذي يتضمن إشراك القوات البرية ... حيث أن إشراك القوات البرية يعني غزو العراق بينما الضربات الجوية والصاروخية تعني الانتقام. وقد تعود العالم والأنظمة العربية على الغارات الجوية الأمريكية والبريطانية على العراق والتي تكاد تكون شبه يومية دون أن يتحرك أحد.

عيوب هذا الخيار (من وجهة النظر الأمريكية):

القوات الجوية بقوة تدميرية هائلة. ولكنها لا تستطيع أن تحتل أرض ، فالقوات البرية هي وحدها التي تستطيع أن تحتل الأرض ... وبالتالي هي التي تستطيع أن تسقط النظام العراقي إذا نجحت في الوصول إلى بغداد واحتلالها ، وبالتالي فإنه مادام هدف أمريكا هو إسقاط نظام صدام حسين ... فإن إشراك القوات البرية مع الهجمات الجوية والقصفات الصاروخية هو الحل الوحيد لتحقيق هذا الهدف.

الخيار الثاني

"تقوم القوات الجوية والبحرية الأمريكية بتوجيه ضربات جوية وقصفات صاروخية إلى الأهداف العسكرية والاقتصادية والبنية التحتية لبضعة أيام أو بضعة أسابيع قبل أن تنطلق القوات البرية في اتجاه بغداد للإجهاز على ما بقي من مقاومة ، ولتحقيق الهدف النهائي للحملة وهو إسقاط النظام وإقامة نظام عسكري أمريكي لإدارة البلاد إلى أن يتم إقامة نظام عراقي عميل للولايات المتحدة."

عيوب هذا الخيار (من وجهة النظر الأمريكية):

- ورغم أن هذا الخيار هو انسب الخيارات لتحقيق الهدف الأمريكي إلا أن هناك كثير من العقبات التي تعترض تنفيذه نوجزها فيما يلي:

1- حجم القوات البرية:

الحجم المناسب لتحقيق هذا الهدف هو حوالي إحدى عشرة فرقة على الأقل وحيث أن كل ما تملكه أمريكا من قوات برية حاليا هو عشرة فرق بيانها كما يلي:

- **2 فرقة مدرعة (موجودة في أوربا).**
- **4 فرقة ميكانيكية (اثنين في أوربا + واحدة في كوريا).**
- **2 فرقة مشاة (واحدة في هاواي).**
- **1 فرقة اقتحام جوي.**
- **1 فرقة محمولة جوا.**

فإنه يتضح أن أمريكا لا تستطيع وحدها تدبير الفرق البرية المطلوبة لتلك الحملة. وقد ظهر ذلك بوضوح إبان حرب الخليج الثانية عام 1991 حيث تم حشد 15 فرقة ضد العراق بيانها كما يلي:

- 5 فرق برية أمريكية (اثنين مدرعة + 3 ميكانيكي).
- 2 فرقة مارينز أمريكية.
- 2 فرقة جنود جو أمريكية.
- 2 فرقة مصري (واحدة مدرعة + واحدة ميكانيكي).
- 1 فرقة سوري (واحدة مدرعة).
- 1 فرقة بريطانية مدرعة.
- 1 فرقة فرنسية خفيفة.
- 1 فرقة خليجية (أغلبها من القوات السعودية).

- وحيث أن مصر والسعودية وسوريا قد أعلنوا رأيهم بوضوح بأنهم لن يشاركوا في الحرب الأمريكية ضد العراق. وحيث أن فرنسا هي الأخرى مازالت حتى الآن تعارض توجيه ضربة عسكرية إلى العراق فإن هذا يعني أنه على أمريكا وبريطانيا وحدهما تدبير القوات البرية لتنفيذ خطة غزو العراق بقوات برية!!.

2-أماكن الحشد:

السعودية : تشكل السعودية منطقة حشد مثالية لهذا الحجم من القوات ، بما توفره من قواعد جوية وبحرية ... وبما يتوفر لديها من اتساع الإقليم وما توفره من شبكة رائعة من الطرق السريعة. ولكن السعودية أعلنت بشكل قاطع بأنها لن تسمح باستخدام أراضيها كقاعدة للانطلاق لضرب العراق.

الكويت : نعم تتصل الكويت بحدود برية مشتركة مع العراق ، ولكن صغر مساحة دولة الكويت وعدم توفر القواعد الجوية والبحرية التي تسمح باستقبال إحدى عشرة فرقة (حوالي 275.00 ضابط وجندي) يجعلها غير مناسبة كقاعدة انطلاق ضد العراق ، أضف إلى ذلك أن المنطقة لشط العرب العراقي لا تصلح لعمل القوات الميكانيكية، ومع ذلك فإن الضرورة قد تفرض على أمريكا استخدام الكويت كقاعدة انطلاق لقوات محدودة.

تركيا: تركيا تمثل منطقة انطلاق مناسبة للقوات الأمريكية ضد العراق من حيث أنها دولة صديقة لأمريكا ومن حيث أن شمال العراق يسكنه الأكراد الذين كثيرا منهم يعارضون النظام العراقي في بغداد. ولكن يعيب هذا الاتجاه أنه يمر عبر مناطق جبلية وعرة غير مناسبة لحرب الدبابات والقوات ا لميكانيكية،ولكن من الممكن استخدامها كاتجاه ثانوي للهجوم ضد العراق بقوات من جنود الجو الذين يستخدمون طائرات الهليوكوبتر في هجماتهم.

سوريا وإيران: لا يمكن استخدام أي منهما كمنطقة حشد وانطلاق ضد العراق حيث أن أمريكا تعتبرهما من الدول الغير صديقة للولايات المتحدة بل إنها تعتبرهما من الدول المارقة.

الأردن: تقوم أمريكا بتصنيف النظام الأردني على أنه حليف رئيسي لها في المنطقة ، ولكن لأن غالبية سكانه من الفلسطينيين ونظرا لضعف إمكانياته العسكرية والاقتصادية ، وأنه محاط بأربعة دول قوية (سوريا والعراق والسعودية وإسرائيل) فإنه لا يقبل ولا يصلح لأن يكون منطقة حشد للقوات التي تنطلق في هجومها البري ضد العراق. وهو في نفس الوقت لا يستطيع أن يتصدى بنجاح لأي قوات من الدول المجاورة له إذا أرادت تلك القوات أن تمر من خلال أراضيه.

2-الوقت اللازم للحشد

إن حشد 11 فرقة برية من أمريكا وأوربا إلى منطقة الشرق الأوسط يحتاج إلى ثلاثة أشهر على الأقل.

3-التكاليف المباشرة

تقدر التكاليف الأولية لهذا الخيار بحوالي مائة أو مائتي مليار دولار. وهو مبلغ ضخم تريد الولايات المتحدة من دول أوربا واليابان وكرويا الجنوبية وربما بعض الدول العربية أن تساهم بالجزء الأكبر من تلك التكاليف كما حدث بالنسبة لحرب الخليج الثانية، وذلك هو أحد الأسباب الرئيسية لإصرار أمريكا على أن تصدر الأمم المتحدة قرارا صريحا بضرب العراق ... ومع ذلك فقد أراد الرئيس الأمريكي بوش ان يقنع الشعب الأمريكي بضرب العراق حتى ولو لم تصدر الأمم المتحدة قرارا بذلك فقال "إن هذا المبلغ لا يمثل سوى واحد أو إثنين في المائة من الدخل القومي للولايات المتحدة".

4-إسرائيل

- إسرائيل هي الحليف الرئيسي للولايات المتحدة في المنطقة. وهي العصا الغليظة التي تحتفظ بها أمريكا لكي تؤدب بها الدول الشرق أوسطية التي تخرج على طاعة الولايات المتحدة. وقد حرصت الولايات المتحدة ألا تشرك إسرائيل معها في حرب الخليج الثانية ضد العراق عام 1991 ، حتى لا تحرج الأنظمة العربية التي شاركت في تلك الحرب ضمن المعسكر الأمريكي.

- إن إسرائيل لا توفر منطقة حشد فحسب ، بل أنها تمتلك القوات البرية الكافية لتنفيذ المهمة. إن إسرائيل تستطيع أن تخصص تسع فرق (6 فرق مدرعة + 3 فرق مشاة) للاشتراك في عملية غزو العراق، وهي قادرة على تعبئة تلك القوات وجعلها قادرة على بدء الهجوم خلال سبعة أيام فقط وليس ثلاثة اشهر إذا أريد نقل تلك القوات من أمريكا وأوربا.

... وبالتالي فقد سقط الشرط الذي يمنع أمريكا من الاستعانة في حرب الخليج الثالثة ضد العراق. كما أن ورقة التوت التي كانت تستخدمها أمريكا لتدعي بأنها ليست ضد الإسلام والمسلمين ، وأن " الدول العربية هي التي تهدد أمن وسلامة إسرائيل وليس العكس ... هذه الورقة قد سقطت هي الأخرى. وبالتالي فلا مانع من إشراك إسرائيل في هذه الحملة ضد العراق.

– إن إسرائيل لا توفر منطقة حشد فحسب ، بل أنها تمتلك القوات البرية الكافية لتنفيذ المهمة. إن إسرائيل تستطيع أن تخصص تسع فرق (6 فرق مدرعة + 3 فرق مشاة) للاشتراك في عملية غزو العراق، وهي قادرة على تعبئة تلك القوات وجعلها قادرة على بدء الهجوم خلال سبعة أيام فقط وليس ثلاثة اشهر إذا أريد نقل تلك القوات من أمريكا وأوربا.

الخطة الأمريكية الإسرائيلية المحتملة

1. مناطق الحشد والانطلاق

- إسرائيل قاعدة حشد رئيسية وينطلق منها ست فرق مدرعة وثلاث فرق مشاة.. مشكلة في ثلاث فيالق كل فيلق فرقتين مدرعتين وواحدة مشاة.
- الكويت قاعدة حشد ثانوية وينطلق منها فرقة مشاة أمريكية.

- تركيا قاعدة حشد ثانوية وينطلق منها فرقة اقتحام جوي أو فرسان الجو أمريكية.

2- يقوم الفيلق الإسرائيلي رقم واحد (اثنين فرقة مدرعة + فرقة مشاة) باجتياح الأردن وتأمين مرور الفيلق الثاني والفيلق الثالث في اتجاه العراق عبر الأردن ويتم ذلك خلال يومين.

3- يقوم الفيلق الإسرائيلي رقم اثنين (اثنين فرقة مدرعة + فرقة مشاة) بالمرور خلال الممرات المؤمنة بواسطة الفيلق الأول. ويعبر الحدود الأردنية العراقية صباح اليوم الرابع من نقطة تقع على مسافة 50كم جنوب نقط التقاء الحدود الأردنية مع الحدود السورية والحدود العراقية. ثم يندفع شرقا ويحتل رأس كوبري في منطقة الفالوجة على نهر الفرات بنهاية اليوم الخامس كمهمة مباشرة. ثم يتابع التقدم بهدف احتلال بغداد كمهمة نهائية.

4- يقوم الفيلق الإسرائيلي رقم ثلاثة (اثنين فرقة مدرعة + فرقة مشاة) بعبور الحدود الأردنية جنوب نقطة عبور الفيلق الثاني بحوالي 50كم صباح اليوم الرابع. ثم يندفع شرقا ويحتل رأس كوبري على نهر الفرات جنوب الفالوجة بحوالي 50كم بنهاية اليوم الخامس كمهمة مباشرة. ثم ي تابع التقدم بهدف احتلال بغداد بالتعاون مع الفيلق الثاني كمهمة نهائية.

5- تتقدم فرقة المشاة الميكانيكي (الأمريكية) من مناطق حشدها في الكويت في اتجاه شمال غربي عبر الصحراء وتحتل الناصرة والبصرة بنهاية اليوم الخامس.

6- تتقدم فرقة الاقتحام الجوي (الأمريكية) من مناطق حشدها في تركيا وتحتل منطقة آبار البترول في كل من الموصل وكركوك.

مزايا هذه الخطة (من وجهة نظر أمريكا)

1- يمكن تنفيذها دون حاجة إلى إصدار قرار من الأمم المتحدة.

2- توفر إسرائيل الجزء الأكبر من القوات المطلوبة لتنفيذ الخطة.

3- يمكن البدء في تنفيذها خلال أسبوع واحد من اتخاذ القرار السياسي بالهجوم على العراق.

4- إن عدم إشراك دول أوربية في تنفيذ خطة الهجوم على العراق سوف يعني أنه في حالة نجاح تلك الحملة فإن جميع المكاسب والغنائم ستكون من نصيب أمريكا وإسرائيل وحدهما.

عيوب هذه الخطة (من وجهة نظر أمريكا)

1-سقوط ورقة التوت التي كانت تختفي أمريكا وراءها مدعية أنها ليست ضد الإسلام والمسلمين لكي تخدع بعض الزعماء العرب.

2-احتمال قيام ثورات شعبية أو انقلابات عسكرية ضد الأنظمة العربية الصديقة لأمريكا وإسرائيل.

الخطة الدفاعية العراقية:

العوامل المؤثرة على الخطة

1- الاعتراف بالتفوق الأمريكي والإسرائيلي الساحق في مجال القوات الجوية.

2- الضعف الواضح في وسائل الدفاع الجوي العراقي.

3- التفوق الأمريكي والإسرائيلي الواضح في حرب المدرعات ، إذا ما تمت المعارك في الأراضي المفتوحة وذلك نتيجة توفر الاتصالات السريعة بين المدرعات والقوات الجوية.

4- ولإجهاض عناصر التفوق التي يتمتع بها العدو أو التقليل من حدتها فأنه يتحتم على العراق أن يتلافى بقدر ما يستطيع الدخول في معارك كبيرة مع العدو في الأراضي الصحراوية حيث تكون الغلبة للقوات الجوية والمدرعات الأمريكية والإسرائيلية .

الخطوط العريضة للخطة

1- إقامة خط الدفاع الرئيسي ضد الغزو الأمريكي المنتظر على طول نهر الفرات حيث أن كل من القوات الجوية والقوات المدرعة تفقد الكثير من فعالياتها إذا جوبهت بمواقع دفاعية تم اختيارها بعناية وتم تجهيزها بخنادق جيدة وخطة نيران سليمة.

2- زرع أكبر قدر من الألغام في المناطق الصحراوية التي تمتد من الحدود الأردنية حتى نهر الفرات.

3- الاحتفاظ بإحتياطيات تكتيكية وتعبوية متعددة حيث أن التفوق الجوي الأمريكي سوف يجعل القيام بهجوم مضاد استراتيجي بقوات عراقية كبيرة عملية محفوفة بالمخاطر.

4- يجب أن يكون الهدف الرئيسي للخطة هو تكبيد العدو اكبر قدر من الخسائر البشرية.

الموقف الدولي العربي

وبصرف النظر عن الأسباب التي دعت إلي ذلك فإن الموقف الدولي والعربي اليوم هو أكثر تعاطفا مع العراق وأكثر اعتراضا علي التجبر الأمريكي عما كان عليه عام **1991** ولكن يجب ألا نضع آمالا كثيرة علي الموقف الدولي حيث أن المعارضة التي تقودها روسيا وفرنسا والصين وألمانيا أساسها هو التجاهل الأمريكي المتعمد لتلك الدول ولدور الأمم المتحدة، ولكنهم يشتركون مع أمريكا في كراهيتهم للإسلام والمسلمين.

وهم يوافقون علي ضرب العراق بعد صدور قرار من الأمم المتحدة بناء علي شكوك بأنه يملك أسلحة تدمير شامل (نووي – بيولوجي – غازات) ولا يتحدث أحد منهم عن تطبيق ذلك علي كوريا الشمالية وإسرائيل وغيرها من الدول التي يعرف العامة والخاصة أنها تملك أسلحة تدمير شامل.

كما أننا لم نسمع مطلقا تهديدا روسيا أو صينيا أو فرنسيا باستخدام حق الفيتو ضد أي قرار بضرب العراق. وهناك سبب آخر غير معلن لتلك المعارضة هو أن عدم صدور قرار من الأمم المتحدة بضرب العراق سوف يكون مبررا كافيا لتلك الدول بعدم المساهمة في الحملة ضد العراق إذا قررت أمريكا أن تقوم بتلك الحملة خارج إطار الأمم المتحدة وفيما يلي بيان بالمساهمات المالية التي قدمتها الدول الرئيسية لتمويل الحملة ضد العراق عام **1991**:

اليابان 13.0 مليار دولار

ألمانيا 10.0مليار دولار

كوريا الجنوبية 0.4مليار دولار

السعودية 48.0مليار دولار

الكويت 22.6مليار دولار

الإجمالي 94.0مليار دولار

ومن تلك المساهمات المالية (94 مليار دولار) حصلت أمريكا علي (54.6 مليار دولار) في حين أن التكاليف الفعلية لتلك الحرب كان (48 مليار دولار). أي أن أمريكا ربحت من تلك الحرب (6,6 مليار دولار).

الموقف العربي

إن موقف السعودية اليوم واضح تماما وهو أنها لن تساهم في ضرب العراق ، وأنها لن تسمح للقوات الجوية المتمركزة في السعودية بأن تقلع من تلك القواعد بهدف ضرب العراق. ولكن هناك شواهد قوية بأن هناك ثلاث دول عربية سوف تشارك أمريكا في حربها ضد العراق:

الكويت :أعلن الشيخ صباح الأحمد الصباح وزير خارجية الكويت يوم 4 نوفمبر الحالي أن القوات المسلحة الكويتية لن تشارك في عملية عسكرية ضد العراق. ولكن إذا صدر قرار من مجلس الأمن فيمكن للولايات المتحدة استخدام القواعد(وكالات الأنباء العالمية). ويلاحظ أن هذا

التصريح يختلف عن تصريح وزير الخارجية السعودي الذي أعلن في نفس اليوم بأنه حتى في حالة صدور قرار من مجلس الأمن فإن السعودية لن تسمح للولايات المتحدة بضرب العراق من القواعد الموجودة علي أراضيها.

قطر :أورد وزير خارجية قطر في حديث له في برنامج بلا حدود الذي أذاعته قناة الجزيرة بتاريخ 23 أكتوبر الماضي " نحن لا نستطيع أن نقول لا لأمريكا" وهو يعني أن أمريكا سوف تستخدم قاعدة العديد القطرية التي تقوم أمريكا حاليا بتوسيعها وتحديثها من أجل استخدامها في ضرب العراق.

الأردن :لا يوجد قواعد أمريكية في الأردن. ولكن أفادت وكالات الأنباء العالمية عن وجود نشاط أمريكي مكثف في الأردن. ويعتقد أن ذلك لترتيب الحصول علي موافقة الأردن لاستخدامه كدولة مرور إلي العراق سواء بالنسبة للقوات الأمريكية أو القوات الإسرائيلية. فإن وافق الأردن فقد أصبح مشاركا في ضرب العراق. وإن عارض ذلك وقاتلت القوات الأردنية ضد القوات الغازية بقدر ما تستطيع فسوف تسقط عنه تلك التهمة.

الموقف الأمريكي

أعلن كولين باول وزير خارجية أمريكا في 2002/11/1 أن بعض الدول الأوروبية تؤيد الموقف الأمريكي مثل بريطانيا وإيطاليا وأسبانيا. وأن بعض الدول العربية تؤيد أيضا موقفنا ولكنه لم يذكر تلك الدول.

الجمهوريات السوفيتية السابقة

أعلنت الجمهوريات السوفيتية السابقة والتي أصبحت الآن جمهوريات مستقلة ضمن الاتحاد الروسي ، بأنها لن تسمح لأمريكا باستخدام قواعدها وأجوائها من أجل توجيه ضربة إلي العراق. ومن الواضح أن هذا الموقف يعتبر أكثر تقدما من موقف الكثير من الدول العربية والإسلامية.

الخاتمة

1. إن معرفة خطط العدو مسبقا وقبل تفعيلها هو نصف الطريق إلي النصر. لأنها تسمح للطرف الذي ألم بها أن يتخذ الإجراءات اللازمة لإفشال تلك الخطط. ولكن هذا لا يعني أنه لو قام العدو باتخاذ خطة أخري أو إجراء تعديلات جوهرية في خططه السابقة أن يقف الطرف الآخر عاجزا عن مجابهة الموقف الجديد.

2. يجب أن تعلم جميع الدول العربية والإسلامية أن أمريكا هي العدو الأول للإسلام والمسلمين. وأنها رغم كل قوتها وجبروتها فإنها لا تستطيع أن تجابه 1200 مليون مسلم دفعة واحدة. وأنها لذلك تنوي تدميرها الواحدة بعد الأخرى. وإذا استمرت تلك الدول في موقفها المتخاذل بينما يذبح العراق فسوف يأتي الدور لكي تذبح هي الأخرى إن عاجلا أو آجلا. ولن ينفعها يومئذ أن تقول "أكلت يوما أكل الثور الأبيض."

3. ليس هناك مجال للمقارنة بين القدرات العسكرية للولايات المتحدة وبين العراق. ولذلك فإن مهمة العراق الرئيسية في تلك الحرب هو أن يرفع ثمن الانتصار الأمريكي إلي نقطة الردع الذي يدفع أمريكا إلي إيقاف الحرب. وفي اعتقادي أنه لو نجح العراق في تكبيد القوات الأمريكية 3000 قتيل ، فسوف يدفع ذلك الشارع الأمريكي للضغط علي حكومته من أجل إيقاف الحرب.

4. **إن حساب المسلم يو م القيامة سوف يكون علي أساس ما ورد في الكتاب والسنة ولن يقبل منه القول بأنا كنا مستضعفين في الأرض ، أو أننا كنا**

5. **نلتزم بتنفيذ قرارات الأمم المتحدة. فقد قال تعالي" يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلي الأرض. أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة . فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل . إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا . والله علي كل شيء**

قدير" (التوبة الآيتان 38–39)

وضعه للخطة العراقية

المقترحة لصد الغزو الأمريكي

يقول الشاذلى : لقد بات مؤكدا أن أمريكا مصممة على غزو العراق واحتلاله ونهب ثرواته بحجة كاذبة مفتراه بأنه يمتلك أسلحة دمار شامل وأنه يتعاون ويأوي الجماعات الإرهابية التى تهدد أمن وسلامة الولايات المتحدة. ورغم أن تقرير فرق التفتيش الدولية الذى عرض على مجلس الأمن الدولى فى 7 مارس قد أقر بأن لم يجد أى دليل يؤكد الاتهام الأمريكى بأن العراق يمتلك أسلحة دمار شامل فأن أمريكا التى هى بحق تمتلك أكبر ترسانة أسلحة فى العالم لم يعجبها تقرير المفتشين الدوليين، ولم يعجبها موقف دول العالم التى تعارض الحرب، ولم يعجبها المظاهرات الرافضة للحرب والتى خرجت يوم 15 فبراير فى أمريكا وسائر بلاد العالم والتى قدرت بحوالى 15 مليون متظاهر.

ورغم كل ذلك فإن باور وزير خارجية أمريكا، أعلن أن واشنطن ولندن تقدمت بقائمة تحوى 115 سؤالا للحكومة العراقية يتعين أن تجيب عنها إجابات مرضية قبل حلول 17 مارس الحالى، وإلا واجهت الحرب فورا !!

وعندما لوحت فرنسا باستخدام حق النقض لمنع تمرير أى قرار لمجلس الأمن بفسخ المجال أمام شن حرب ضد العراق، سارع باول بتحذير فرنسا من استخدام حق النقض وأكد أن ذلك سيكون له تأثير جدى على

العلاقات الثنائية الأمريكية الفرنسية وخلاصة القول أن أمريكا التى تطبق الديمقراطية فى بلادها فإنها تريد أن تفرض هيمنتها ودكتاتوريتها على الدول. وفى هذا الإطار فهى مصممة على ضرب العراق ليس لأنه يمتلك أسلحة دمار شامل ولكن لأنه رفض الهيمنة الأمريكية.

سيناريو خطة الغزو الأمريكي:

على ضوء ما تتمتع به القوات الأمريكية من تفوق ساحق فى القوات الجوية والقوات البحرية. وعلى ضوء ما تتمتع به القوات الأمريكية البرية خفة حركة عالية ووسائل اتصال لا تمكنها من طلب معونة القوات الجوية خلال دقائق معدودة.. وعلى ضوء الرغبة الأمريكية بأن تكون هذه الحرب خاطفة وسريعة الحسم.

. وعلى ضوء حجم القوات الأمريكية والمتحالفة التى تم حشدها.. وعلى ضوء أماكن حشد تلك القوات.. وعلى ضوء التصريحات التى تصدر من المسئولين الأمريكيين التى يمكن تصديق بعضها من حيث أنها لا تتعارض مع المنطق أو العلم العسكرى. فأننى أعتقد أن السيناريو الأكثر احتمالا للحملة المريكية ضد العراق سيكون كما يلى:

1- قصف جوى وقصف صاروخى مكثف لمدة يومين يتم خلالها إسقاط حوالى 1000 طن من الصواريخ والقنابل.. وذلك بهدف تدمير وسائل الدفاع الجوى ومراكز القيادة ووسائل الاتصال والسيطرة العراقية.

2- تندفع و6 فرق مشاه (ثلاث فرق مدرعة منها الفرقة البريطانية + فرقة اقتحام جوى + فرقة جنود مظلات + فرق فرسان الجو) تحت مظلة كثيفة من القصف الجوى على محورين أو ثلاثة بهدف الوصول إلى الفالوجة.

- المحور الأول: من الكويت عبر الصحراء الكويتية وعبر الصحراء غرب الفرات.
- المحور الثانى: من تركيا عبر الحدود الشمالية للعراق. وهذا المحور قد ينقسم إلى قسمين: القسم الأول تمر فيه ارتال من الدبابات عبر المناطق الكردية.

- والقسم الثانى قد تقوم به الفرقة 101 اقتحام جوى التى يمكن اسقاطها فى الصحراء الغربية غرب الفالوجة بحوالى 50 كيلو متر حيث يتم تجميعها ثم تتحرك شرقا فى اتجاه الفالوجة.

- المحور الثالث: من الأردن شرقا فى اتجاه الفالوجة إذا لم يستخدم المحور الشمالى من تركيا. أما إذا استخدم المحور الشمالى، فأن محور الأردن يكون احتياطيا تتقدم فيه القوات الإسرائيلية إذا ما دعت الضرورة إلى ذلك.

3- تتجاهل القوات البرية الأمريكية أى مواقع دفاعية عراقية أثناء تحركها وذلك بهدف الوصول إلى منطقة الفالوجة بنهاية اليوم الثالث لبدء هجوم القوات البرية. وبعد الوصول إلى منطق ة الفالوجة توضع جميع الفرق البرية الستة تحت قيادة واحدة. ويبدأ حينئذ مرحلة حصار بغداد والاستعداد لاقتحامها.

4- تقوم قوات المارينز الأمريكية والبريطانية باحتلال ميناء البصرة ومطارها باستخدام الأبرار البحرى والجوى.

التعليق على الخطة الأمريكية:

تعتمد هذه الخطة الأمريكية على قناعة لدى القيادة السياسية الأمريكية على ما تقوله وكالة المخابرات الأمريكية والمعارضون لنظام صدام حسين من أنه إذا وصلت القوات الأمريكية إلى مشارف بغداد، فسوف يثور الجيش العراقى ضد قيادته العسكرية والسياسية.. وبذلك يمكن للقوات الأمريكية أن تدخل بغداد دون قتال. وأنى أعتقد أن هذا التطور الأمريكى لن يحدث بإذن الله.. ولكن أعتقد أنه بإمكان القوات البرية الأمريكية وحلفائها إذا ما هى تحركت عبر الصحراء وتحاشت الدخول فى معارك جانبية فإن فى استطاعها أن تصل فى خلال ثلاثة أيام إلى منطقة الفالوجا بحوالى 6 فرق ومعها الأسلحة الرئيسية التالية:

- 1380 دبابة (1180 أمريكية + 200 بريطانية)
- 583 قطعة مدفعية (447 أمريكية + 136 بريطانية)
- 1092 طائرة هليوكبتر (1050 أمريكية + 42 بريطانية)

أما أن تكون تلك القوات قادرة على اقتحام بغداد واحتلالها. فهذا أمر مشكوك فيه وسوف يؤكد ذلك الشعب العراق البطل انشاء الله، عندما تتحطم على أسوار بغداد أحلام الإمبراطورية الأمريكية. وعندما يفرح المؤمنون.

الخطة العراقية المقترحة:

1- المبادئ العامة للخطة

أن الهدف السياسى الأمريكى المعلن هو إسقاط النظام العراقى وإقامة نظام عميل فى بغداد ورغم التفوق الأمريكى الساحق على العراق فى مجال القوات الجوية والقوات البحرية. ورغم أن تلك القوات الجوية والبحرية تملك قدرات تدميرية هائلة أنها لا تستطيع أن تسقط النظام العراقى. وأن إسقاط النظام لا يمكن أن يتم إلا إذا استطاعت القوات البرية أن تقتحم بغداد وتحتلها. ومن هنا فإن الخطة العراقية يجب أن تعتمد على الأسس التالية.

- استدراج القوات الأمريكية البرية إلى المناطق المزروعة والمبينة حيث تفقد الطائرة والدبابة الكثير من إمكانياتها.
- تركيز الدفاع عن بغداد حيث ان معركة بغداد هى التى ستحدد النجاح والفشل. فإذا فشلت القوات الأمريكية فى احتلال بغداد فهذا يعنى انتصار العراق.
- الاعتماد على الحرب الثانية والاقلال من التحركات الكبيرة.
- تشكيل مجموعات قتال صغيرة تقوم بالتصدى لخطوط مواصلات العدو.

2- القوات البرية

يمتلك العراق 23 فرقة بيانها كالأتى

- 6 فرقة مدعة
- 4 فرقة ميكانيكى
- 13 فرقة مشاه

ومع هذه القوات الأسلحة الرئيسية التالية

- 2600 دبابة
- 2100 قطعة مدفعية
- 164 طائرة هليوكبتر

3- تخصيص المهام للقوات البرية

أ- الدفاع عن بغداد: يخصص للدفاع عن بغداد القوات الآتية:

- 6 فرقة مدرعة (3 منها حرس جمهورى)

- 4 فرق مشاه ميكانيكى (1 منها حرس جمهورى)

- 2 فرق مشاه (الاثنان حرس جمهورى)

ب- تحصين المدن

- تحصين 8 فرق مشاه للدفاع عن المدن ذات الأهمية الخاصة

- الموصل: فرقه مشاه

- كركوك: فرقه مشاه

- نكريت: فرقه مشاه

- الفالوجة: فرقه مشاه

- النجف: فرقه مشاه

- الناصر: فرقه مشاه

- البصرة: فرقه مشاه للمدينة + فرقة مشاه للميناء البحرى والمطار

- باقى المدن: يتم الدفاع عنها بواسطة الميليشيات، بعد تدعيمها بواسطة بعض الأسلحة الثقيلة من القوات المسلحة.

التصدى لخطوط مواصلات العدو.

1- يخصص 3 فرق مشاه للتصدى لخطوط مواصلات العدو بمعدل فرقة واحدة لكل محور (محور الكويت بغداد، محور تركيا بغداد، محور الأردن بغداد)

2- تقوم كل فرقة بتشكيل مجموعات قتالية مسلحة تسليحيا خفيفا قوامها البندقية والرشاش RPG والالغام المضادة للعربات. ولها القدرة على التحرك سيرا على الأقدام أو باستخدام عدد محدود من العربات ويكون عدد كل مجموعة حوالى 100 فرد وقد يصل فى بعض الحالات إلى 500 فرد كحد أقصى. وهذا يتطلب تقسيم كل محور من محاور الإمداد إلى عشرة قطاعات رئيسية وكل قطاع يكون مسئولا عن حوالى 50كم. وكل قطاع ينقسم بدوره إلى خمسة مجموعات قتال تتكون كل منها من مائة فرد.

3- تبقى هذه المجموعات المقاتلة فى حالة كمون تام عندما تتقدم الفرق البرية الغازية فى اتجاه بغداد. ولكنها تنشط بعد ذلك وتتعرض للقولات الإدارية التى تنقل الاحتياجات الإدارية إلى تلك الفرق . فتنصب لها الكمائن وتزرع الالغام فى الطرق التى تستخدمها تلك القولات وتعمل هذه المجموعات ليلا ونهارا. وهذه المجموعات القتالية لا تتشبث بالأرض أبدا ولكنها تستخدم تكتيكات حرب العصابات وهى إضرب واهرب حتى لا تشكل هدفا لقوات العدو الجوية.

4- وان نجاح هذه المجموعات المقاتلة فى عملها سوف يضع قيادة قوات الغزو أمام خيارين كلاهما مر والخيار الأول هو أن تخصص جزءا من قواتها البرية والجوية لحراسة هذه المحاور، فيؤثر ذلك على حجم القوات التى تواجه بغداد. والخيار الثانى هو أن تتحمل بعض الخسائر البشرية وعدم وصول الإمدادات الإ دارية إلى الفرق المقاتلة مما يؤثر على معنويات القوات التى تواجه بغداد. فإذا علمنا أن كل فرقة أمريكية تحتا ج إلى 3000 طن من الاحتياجات وأفترضنا أن هذه المجموعات نجحت فى

تدمير او منع نصف هذه الاحتياجات من الوصول إلى الفرق المقابلة فإن ذلك سوف يساهم مساهمة فعالة فى نصر العراق فى معركة بغداد.

4- تخصيص المهام للقوات الجوية

نظرا للتفوق الساحق الذى تتمتع به القوات الجوية الأمريكية على القوات الجوية العراقية من ناحية عدد الطائرات ونوعيتها والأجهزة الإلكترونية التى تستخدمها. فأنه يجب على القوات الجوية العراقية تلافى ايه معارك جوية.. وأن يقتصر عملها على القيام بعمليات فدائية خاصة ضد القطع البحرية الثمينة وضد مراكز القيادة الأمريكية.

أن العدد من الطائرات التى يملكها العراق (130 طائرة هجوم أرضى+ 180 طائرة مقاتلة) محكوم عليها بالتدمير إذا هى دخلت فى معارك جوية، أو إذا هى اختبات فى ملاجئها الأرضية لمدة طويلة. والحل الوحيد المتاح لها هو أن يتم تدميرها بعد أن تكون قد كبدت العدو خسائر فادحة فى عمليات استشهادية.

5- تخصيص المهام للقوات البحرية

ونظرا للتفوق الساحق الذى تتمتع به القوات البحرية الأمريكية فأنه يجب أن تقتصر مهام القوات البحرية العراقية على ما يلى:

أ- الدفاع الساحلى ضد المحاولات التى ينتظر أن يقوم بها العدو من أجل احتلال ميناء البصرة.

ب- زرع أكبر عدد من الالغام البحرية فى طرف الاقتراب البحرية إلى الميناء الإقليمية العراقية .

إدارة المعركة الدفاعية:

1- لامركزية القيادة

أ- من التوقيع أن تقوم أمريكا خلال اليومين الأولين لبدء الحرب بتكثيف هجماتها الجوية والصاروخية ضد مراكز القيادة ووسائل الاتصال وسوف يترتب على ذلك انقطاع وسائل الاتصال بين الوحدات والتشكيلات وقياداتها. وقد يستمر هذا الانقطاع لبضع ساعات وقد يستمر لبضعة أيام. ولذلك فان القيادات على جميع المستويات يجب أن تتمتع بقدر كبير من حرية العمل إذا ما انقطع الاتصال بينهما وبين رئاساتها. وهذا يتطلب الأخذ بمبدأ لامركزية القيادة.

وعموما فالأخذ بمبدأ لامركزية القيادة لا يعنى أن تعمل كل قيادة حسب هواها ولكن على كل قائد أن يتصرف فى حدود المهمة التى خصصت له وأن يعمل فى نفس الوقت على أن يبذل جهدا من اجل أعاده الاتصال بقيادته.

التصدى للحرب النفسية الأمريكية:

أمريكا تمارس الحرب النفسية ضد العراق منذ أن بدأت فى حشد قواتها إلى منطقة الشرق الأوسط. ومع أنه ما من أحد يشك فى قدرات القوات المسلحة الأمريكية. إلا أن الأعلام الأمريكى يبالغ كثيرا من حيث

حجم القوات التى يقوم بحشدها ويبالغ فى إمكانيات أسلحته. ومن المؤكد أنه سيكثف هذه الحملة إذا ما بدأت عمليات الغزو. فقد يدعى كذبا بسقوط بعض المدن أو استلام بعض وحدات الجيش العراقى. وبالتالى فيجب على الاعلام العراقى أن يرد بالحقائق.. فلم يعد الكذب ممكنا فى ظل الأقمار الصناعية التى لم تعد حكرا على أمريكا وحدها.

ومن المؤكد أنه ستسقط بعض المدن. ولكن ما يهم وما يشرف تلك المدن هو أن تكبد القوات الغازية خسائر بشرية كبيرة قبل سقوطها. فإذا سقطت فإن المخلصين من شبابها يقاومون المستعمرين بأسلوب حرب العصابات. فالمعركة الكبرى هى معركة بغداد. وأن كل خسارة بتحميلها العدو أمام المدن الحصية سوف تؤثر على نتيجة المعركة الحاسمة فى بغداد. وحيث أنت ميناء البصرة ومطارها تشكل هدفا رئيسيا هاما للعدو، فأنه يتحتم على العراق أن يجبر العدو على أن يدفع ثمنا باهظا قبل أن يستولى عليها.

وحدة الصف أم وحدة الهدف:

عجبت وما زالت أعجب من هؤلاء الذين يصفقون ويهللون بنجاح مؤتمر القمة العربى الذى اعقد فى شرم الشيخ فى أول مارس الحالى. الم يقرأ هؤلاء المادة الخامسة من قرار تلك القمة الخاص بالعراق والتى تقول (التأكيد على امتناع دولهم عن المشاركة فى أى عمل عسكرى يستهدف أمن وسلامة ووحدة أراضى العراق وأى دولة عربية).. الم يعلم هؤلاء المهللون والمصفقون أن الكويت تستضيف على أرضها 130000 أمريكى

من أجل غزو العراق.. وأن الكويت أعلنت أنها على استعداد لأن تستضيف قوات أمريكية إضافية إذا ما رفضت تركيا الموافقة على أن تستخدم أمريكا الأراضى التركية لفتح جبهة أخرى ضد العراق؟ الم يعلم هؤلاء أن استخدام اراضى أى دولة من أجل مهاجمة دولة أخرى هو أعلى درجة من درجات المشاركة؟ فما هى قيمة هذا القرار الذين يعلم الجميع أنه لن ينفذ1 ! أنهم يقولون أن هذا القرار يعنى وحدة الصف العربى ونحن نقول لهم أن وحدة الصف لن تحقق شيئا. بل أن الهدف هى التى تحقق الأمن العربى الجماعى.

ثم جاء إجتماع قمة الدول الإسلامية يومى 4،5 مارس الحالى. وجاء فى الفقرة الرابعة من قراراته الخاصة بالـ عراق "امتناع الدول الإسلامية عن المشاركة فى أى عمل عسكرى يستهدف أمن وسلامة ووحدة العراق أو أى دولة اسلامية "فما هى قيمة هذه القرارات إذا كان بعض الموقعين عليها لا يضمرون تنفيذها والبعض الأخر يعلم ذلك. ولا توجد أى أليه لحساب من لا يلتزم بتنفيذ تلك القرارات.

متى تبدأ الحرب:

عندما نقول متى تبدأ الحرب فأننا نقصد بذلك بداية الغزو البرى حيث أن الحرب الجوية والقصفات الصاروخية المركزة قبل أن يبدأ الغزو البرى يمكن أن تبدأ فورا ومن اليوم، ويمكن أن تستمر بضعة أيام أو بضعة أسابيع قبل أن يبدأ الغزو البرى. وانطلاقا من ذلك فأنى أقول أن الحرب سوف تبدأ بمجرد الانتهاء من عمليات حشد القوات البرية. ومن متابعة ما

ينشر من أخبار حول هذا الموضوع، فإن عمليا حشد القوات الأمريكية والبريطانية البرية فى كل من الكويت وتركيا لن يصل حوالى 6 فرق برية وثلثى فرقة برمائية إلا فى الأسبوع الأخير من مارس 2003 على وجه التقريب.

فإذا أضيف إلى ذلك أن الجو فى شمال العراق شديد البرودة فأنى أعتقد أن أواخر مارس وأوائل إبريل هو أكثر التوقيتات احتمالا لبدء الحرب البرية الأمريكية ضد العراق.

والسؤال الذى يطرح نفسه اليوم هو هل ستشارك بريطانيا وتركيا مع أمريكا فى غزو العراق رغم المعارضة الشديدة التى يلقاها رئيس الوزراء بلير فى بريطانيا وأردوجان فى تركيا. وفى اعتقادى أن الدولتان ستشاركان فى نهاية الأمر. وإذا أغلقت الجبهة التركية فالجبهة البديلة هى الأردن أو أن تنقل القوات التى كانت مخصصة لهذه الجبهة إلى الكويت ولو أن هذا الحل سيزيد من كثافة القوات التى تحتشد فى الكويت إلى درجة عالية جدا. أما عدم مشاركة القوات البريطانية فى الحرب فأنه لن يؤثر كثيرا فى قدرة القوات الأمريكية على الهجوم وأن كانت القوات سوف تصل إلى مشارف بغداد ستصبح خمسة فرق بدلا من ستة. وهذا طبعا سيكو ن فى مصالح العراق. وفى هذه الحالة سيكون بدء الهجوم البرى الأمريكى فى أوائل إبريل.

وكانت النتيجة واضحة للعالم كله فى اشتراك الدول فى الهجوم على العراق ومخططات أمريكا أصبحت جلية لكل شعوب العالم وخاصة الشعوب العربية .

رأى الشاذلى فيما حدث بالعراق وانتقاله

إلى دول عربية أخرى

يقول سعد الدين الشاذلى فى حديث نشر له بجريدة الشروق – تونس : المأساة مازالت متواصلة في العراق كما في فلسطين، والمتسبب في المأساة مازال ماثلا.. امام عدالة قد تأتي من التاريخ وقد لا تأتي... صور تمتد بشاعتها الى كامل تراب العراق... والى كل جسد الأمة المخدّر... صور عار وهزيمة الظلم، الذي لم يجد من ردّ على افلاسه سوى الاعتداء على كرامة البشر وعلى انسانية الانسان في العراق... المأساة تتجاوز سجن «أبو غريب» لتطال كل العراق... عراق خطوط الطول وعراق خطوط العرض..

منذ ان ساق الجلادون طائراتهم وقنابلهم المحرمة واسلحتهم الفتّاكة، من مراكز التدريب وقواعد عساكرهم التي «استوطنوا» بها اوروبا وآسيا، نحو العراق الذي حاول ان يبني انسانا عربيا جديدا، يحاكي بني البشر في امم العلماء والباحثين والمجددين... يومها بدأ مسلسل «صور العار».. تلك التي صورت لنا ولأكثر من عشرية ضحايا اليورانيوم المنضّب في العراق وضحايا الحصار المفروض على هذا البلد الذي آثر اشقاؤه اقعاده قبل ان يقعده الاحتلال... ثم تحلل الجميع من دمه...

ما هذا «الجندي» اللئيم الذي يطالعنا بكل صفاقة يروي شهادته في شكل «بطولة» ويعلن انه فعلا قتل مدنيين في العراق... بل وقتل منهم المئات... ما هذا «الجندي» المتهور الذي لا يملك من الجندية سوى القتل وخرق القوانين وممارسة فن الاحتلال؟

من ذا الذي سيقتص للمعذبين في العراق... في كامل العراق الذي تحول الى سجن كبير، لا يخضع سجانوه الى محاسبة ولا الى محاكمة... لأن قيادته السياسية هيأت له الغطاء القانوني الذي يبعد عنه شبح المقاضاة..

عن هذه الصور، وعن ممارسات الاحتلال في الماضي والحاضر وعن الموقف العربي الذي نسي «محطة الوصول» فلم يأت ولم يظهر له طالع، تحدّث لـ «الشروق» رجل الشرق العسكري الحقيقي... الفريق سعد الدين الشاذلي، بطل العبور في مخيالنا الشعبي وجندي الشرف وقائد العزة يوم عزّت مثل تلك المفاهيم... تحدّث عن الصور فهوّن علي المصيبة... فالرجل لم يتفاجأ بما حصل، لأنه من طبيعة الجندي الامريكي بحدّ ذاته...

يقول الفريق سعد الدين الشاذلي ان مفهوم الحرب في العالم تغير وفقد معايير الحرب ومتطلباتها واستحقاقاتها يوم دخلت القوة الامريكية الحروب في العالم...

فذكّر الشاذلي «بناجازاكي» و»هيروشيما» ولم ير في هذين الحدثين ما يمكن ان يرتبط بشرف المهنة العسكرية، وتحدّث عن الحرب الكورية حين قتلت الآلة الامريكية وعشوائيا عبر الجوّ، الآلاف دون ان ينسى محدثي الذي بيّن مرة أخرى انه راصد جيّد ومتابع غير عادي وقارئ خارق لكل الأحداث التي نرى ونشهد، اذن لم ينس الفريق سعد الدين الشاذلي

حرب فيتنام وعقّب فربط الاحداث ببعضها البعض بين ما وقع في 1991 من حرب ضروس ولا أخلاقية ضد العراق، وما يقع الآن في سجن «أبو غريب» الذي يراه «ابو العسكرية» العربية ممتدّا الى كامل العراق، لان ما يحصل في العراق احتلال وما يتعرض له شعب العراق جريمة حرب..

هو متابع ومشاكس بالفكرة ايضا.. يقارع الحدث بالحدث، وفي مجال ما حدث في «أبوغريب» وسبل العقاب وكيف سيتصر ف الامريكيون الآن تجاه ما حدث، ذكّر بأن دخول القوات العراقية الى الكويت سنة 1990 ، والذي كان غزوا عسكريا تطاول فيه جنود عراقيون على منازل كويتية، ولما تناهى الامر الى القيادة العراقية اعدمت في ساحة عامة اربعة عسكريين وكان ان اتانا بالنبإ الصحيح مواطن غربي (أمريكي) صور الوقائع واتى بالدليل مثلما فعلت «سي.بي.آس» مع جريمة «أبوغريب»... لذا يقول الشاذلي: الاعتذار الامريكي لا يكفي..

**الفريق سعد الدين الشاذلي، الخبير في شؤون القتال، سأسأل فيك الخبير في قواعد الحرب والجندية: ما حدث في سجن أبو غريب هو بكل المقاييس فظيع... لكن الحديث بدأ الآن عن حصر الجريمة في «كمشة» من المارقين حتى يخرج الاحتلال، مرة أخرى بلا حساب وبلا عقاب. كيف ترى المسألة وكيف تفسر هذه المأساة التي تجعل من القوي اكثر قوة والضعيف اشد ضعفا، والقانون تحت سقف العدل والانسانية؟ ليس هناك اختلاف في ان ما حصل في العراق من تعذيب واعتداءات على المساجين، هو فظيع بل ان المأساة لا تقف عند عمليات التعذيب

والقتل تحت التعذيب ومس كرامة الانسان المعتقل، بل تعدته الى ان اضحت تصور الاعتداء العلني على القانون، وكذلك الوضع المشين الذي تردت فيه امريكا وما ترفعه من شعارات حول حقوق الانسان وتحرير الانسان.. الذي اريد ان اقوله مما سمعته من بوش ورامسفيلد هو ان الاعتذار لا يكفي، بل يجب ان يقترن الاعتذار بأفعال وتوقيع على امر رادع. فالذي حصل وما نحصل عليه الآن من معلومات حول عمليات الاهانة والتعذيب في سجن «أبوغريب» لا يمكن ان يكون عملا فرديا او عملا معزولا... فلما تتكرر عمليات التعذيب وتنتشر ممارسات التعذيب في كامل السجن الذي يضم اكثر من عشرة آلاف معتقل لا تبقى ممارسات معزولة بل تصبح القضية منهجية ومخططا لها.

لقد شهدنا الضابطة البريطانية التي لم يكفها سجن المعتقل وتعذيبه، بل هي جعلت في رقبته حبلا يطوقه كما «الكلب» واخذت صورة وهي تجره في حركة لا تمارس الا مع الحيوانات! لقد رأينا ذاك الفضاء الداخلي الشاسع للسجن الذي صور الجندية وهي تعتدي على كرامة السجين العراقي... رأينا ايضا ثلاثة يباشرون التعذيب الأقصى مع معتقل... فهذه لا يمكن ان تكون اعمالا سرية او معزولة... فلو شارك في هذه العمليات التي تناهت صورها وصيتها الى انظارنا ومسامعنا مائة عسكري فهذا يعني انهم يهيمنون على السجن كله... لا يمكن ان تعتبر تلك ممارسات فردية بل هي منهجية ولها قائد مسؤول عن جنوده الذين يقومون بتلك الاعمال.

ومادامت القيامة قامت على تلك الصور وبتلك الهزّة التي شهدناه على الشاشات في الشارع الامريكي والبريطاني وفي المؤسسات التشريعية

لكلا البلدين اللذين يحتلان العراق... فهذا يعني ان ما خفي كان اعظم وبالتالي نتأكد مرة أخرى ان ما حصل في «أبوغريب» وما يحصل في كامل العراق على ايدي الاحتلال ليس عملا معزولا... ثم انه وفي هذه العملية التي تمت في سجن «أبوغريب» يكون السجّان مسؤولا مسؤولية جنائية... ثم هناك اشخاص في المخابرات وهي سلطة اعلى من سلطة السجن، وبالتالي مسؤوليتهم متأكدة...

والذي يجب ان نستقرئه من هذا الو ضع ووفق هذه المنهجية، فإن هؤلاء المسؤولون موافقون على العمليات التي حصلت بالسجن... صحيح ان البنتاغون اراد ان يغطي على الامر، لأنه انكشف امره، فهو كان يعلم بالاحداث ويحقق فيها او هو يحقق في كيفية اخفائها الى ان جاءت «سي.بي.آس» لتقول انهم (المسؤولون السياسيو ن اي وزارة الدفاع) كانوا يعلمون بأمر الممارسات ورأوا الصور منذ جانفي الماضي... اذن نسأل: اين كان المسؤولون كل هذه المدة؟ ان الإدارة الامريكية لم تكن تتخيل ان العملية ستصل تفاصيلها للصحافة.

اذن هذا الاعتذار وهذا التظاهر بالصدمة التي رأيناها على وجوه مسؤولين امريكيين كبار، لم تكن من حيث المبدإ بل أن الصور وصلت الى الرأي العام العالمي؟

.كان المسؤولون العسكريون والسياسيون الامريكيون يريدون اخفاء الحقائق بأي ثمن... حتى وصل بأحدهم (الجنرال مايرز) الى الاقرار بأنه طلب من الصحافة عدم نشر الصور التي رأينا... وهذه ا خطاء اخرى فيها فضيحة.. اذن مجرد طلب السلطة العسكرية من الصحف ووسائل الاعلام حجب الحقيقة عن الرأي العام تعد في امريكا اخطاء فظيعة.

**انت رجل عسكري ميداني وتكوينك وممارستك للمهنة العسكرية الميدانية او الاكاديمية كانت دوما من خندق الدفاع. لكن يحصل ان يقر التاريخ بفظاعات مماثلة مارسها الاحتلال في الجزائر وفي تونس وفي كل بقاع الدنيا التي خضعت بقوة السلاح للاحتلال العسكري... الفرق فقط ان فظاعات الماضي وصلتنا شفاهيا، واليوم هناك وثائق مصورة للصوت وللصورة؟

. اولا، اريد ان اؤكد ان ما رأيناه او ما امكن لنا ان نراه من صور عن وحشية التعذيب والاعتداء على السجناء العراقيين على ايدي الجنود الامريكان والبريطانيين، هو امر مقزّز وفظيع... لكن بالنسبة للاحتلال، اقول انه يمكن ان يرتكب الجنود بعض الاخطاء لكن المسؤولية تقع على الدولة عندما تعلم هذه الدولة عبر تسلسل مسؤوليها العسكريين والسياسيين، بالامر. اذن ما ان تعلم الدولة المعنية بجنودها الذين اجرموا في حق المعتقلين ولا تتصرف ولا تردّ الفعل، يترتب عن ذلك مسؤولية جنائية عليها.

سأعطيك مثالا حدث في الكويت على ايدي جنود عراقيين، هم في الحقيقة نزر قليل، سرقوا مجوهرات عندما داهموا منازل فخمة كانت مهجورة، وعندما تناهى الامر الى القيادة العراقية، اي صدام حسين الذي ينتقدونه الآن بمناسبة وبلا مناسبة، وقعت محاكمة الجنود العراقيية الاربعة واعدموا في ميدان عام في الكويت... وبما ان الامريكان ليس من مصلحتهم الاعلان عن هذا الامر، فلم تكن وسائل الاعلام معنية بصور جاءت من نظام صدّام تصور القصاص والمحاكمة، كان هناك صحفي امريكي انجز شريطا مصورا لكل هذه الوقائع ووصلت للعالم عن طريقه. وهذا يعني ان القيادة العراقية ايام صدام كانت حاسمة ولم يبق الآن امام هذا الشاهد، الا انتظار ما ستفعله القيادة الامريكية تحت امرة بوش الابن!

لقد تفاقمت مسؤولية الإدارة الأمريكية، لان الاحداث تعود الى اكتوبر وديسمبر الماضيين.. ورغم هذا لم يحققوا في الامر بل حاولوا اخفاء الحقائق.

**بدأت الروائح الكريهة للجريمة، عندما بعثت احدى المعتقلات العراقيات برسالة تناشد فيها المقاومة العراقية لكي تنسف السجن بمن فيه، لأن العراقيات السجينات بطونهن ملأى بنتائج الاعتداءات والاغتصاب..!

. هذه فظاعة.. وهي امور غير مسبوقة مهما قرأنا التاريخ... هذه وحشية لم نر لها مثيلا.. ان مسؤولية الدولة الامريكية متأكدة من كل ما يجري.. ويجب ان نعود الى قانون 1998 الامريكي، والذي ابرمت وفقه واشنطن معاهدات ثنائية فيما بعد تمنع تقديم جنودها للمحاكمة امام محكمة الجزاء الدولية ويمنع القانون تقديم جنود امريكان الى اي صنف من اصناف المحاكم التي يمكن ان تبتّ او يمكنها اختصاصها من محاكمة مجرمي الحرب... ورفضت امريكا توقيع المعاهدة...

لو كان الجنود الامريكان الذين اقترفوا الجرائم في العراق سواء في سجن «أبوغريب» او في كامل العراق الذي حولوه كمحتلين الى سجن، لو كانوا على يقين انهم سيخضعون للعقاب الجزائي اذا هم اقترفوا الجرم، لما اتوه اصلا... لكن الجندي الامريكي يمارس كل هذه الفظاعات التي رأينا والتي لم تبلغنا بعد، وهو مطمئن لأن هناك قانونا اوجدته القيادة السياسية لتحميه مهما فعل ومهما كان مستوى جرائمه ضد الانسان العراقي...الجنود الامريكيون مارسوا «الموبقات» وهم مطمئنون... لأنهم لن يقفوا امام محكمة دولية! فلو كان هؤلاء الجنود سيخضعون الى رادع، لما اقدموا على ما اقدموا عليه بكل سادية وفظاعة...كما ان الرئيس الامريكي يعتبر مسؤولا عن تلك الجرائم لأنه علم بها.

****هل تعتقد سيدي، ان الدول التي امضت اتفاقية ثنائية مع امريكا تمتنع وفقها عن تقديم جنود امريكان الى المحاكمة بتهمة مجرمي حرب، هم الآن نادمون؟**

. والله... ان الدول التي امضت معاهدات ثنائية مع امريكا في الصدد، تستأهل ما يمكن ان يحصل لها... انا لا ألوم على الامريكان هنا بل على الطرف الذي امضى معهم المعاهدة.

**رغم هذا، فالعصر عصر القوة الآن وهذا يعني انه حتى ان لم تكن هناك اتفاقيات مع امريكا تقي الجندي الامريكي في المحاسبة، فمن ذا الذي يقدر على محاكمة الولايات المتحدة الامريكية حتى وان ثبتت جرائم ضد الانسانية ارتكبتها قواتها المسلحة... العالم اليوم عالم القرن الواحد، لكن أليس هناك امكانية على الاقل لفضح هذه الممارسات مع تسجيلها في ذاكرة الانسانية لتقع المحاسبة ولو بعد حين؟

. العملية هي عملية اخلاقية، كمبدإ عام، اذا ارتكب فرد (عسكري) جريمة وقتل انسانا او مجموعة ومارس المسؤولية فرديا تبقى المسألة فردية الى ان يعلم رئيسه او قائده. واذا لم يتصرف هذا القائد ضده، فإنه يصبح بدوره (القائد) تحت المسؤولية الجنائية اي المجرم وقائده الرأي العام العالمي كله الآن ضد امريكا... والرأي العام الأمريكي ضد إدارة بوش... والمسؤولون الامريكيون خائفون الآن من ان يحصل انتقام ويطبق على الجنود الامريكيين الذين يقعون في ايدي القاعدة مثلا، ما وقع للعراقيين. اذن عندما يعلم الامريكان ان العمل الذي يقترفونه يمكن ان يرد عليهم بخسائر عبر الانتقام فإن الامر يصبح مختلفا.

من جهتي ادعو من هنا السبعين دولة التي وقّعت اتفاقيات ثنائية مع واشنطن بخصوص اعفاء الجنود الامريكان من المحاكمة داخل تلك الدول ان تنسحب من المعاهدة. لان ذاك الامر هو ايضا مشجع للامريكان على افعالهم.

**هل أسألك عن رأيك في النظام الرسمي العربي الذي سجل حضوره بالغياب في هذه المسألة؟

. الكل يخاف امريكا الآن. فهي القوة الاقوى و»مفترية» (فيها معنى الظلم باللهجة المصرية) لكن امريكا مهزوزة ايضا... من جهة ا خرى نسجل ان الرأي العام الامريكي هو اشد معارضة لأمريكا من اي بلد عربي.. وحتى الانتقادات التي سمعنا، فهي خجولة وليست قوية... لقد سبق الرأي العام الامريكي والبريطاني جل الأنظمة العربية.

**هل تجد أمريكا من يصدقها بعد الآن، وهي التي تحاسب مليار مسلم على فعل افراد، في حين ان المؤسسة السياسية والعسكرية في واشنطن مورطة في جريمة ضدالانسانية في العراق؟

. لا احد يصدق امريكا مهما قالت او فعلت.. كما ان لا احد يصدقها بأن تصرفات سجن «أبوغريب» هي تصرفات فردية... لقد طالب الامريكيون انفسهم باستقالة رامسفيلد، وهذا يعني ان الحيلة لم تنطل وان الجريمة لم تكن فردية.

النقطة التي كانت امريكا وبأريحية مطلقة تلصقها بالمسلمين اضحت الآن هي مالكتها... لقد اسقط ما في ايدي امريكا، بعد ان شهد شاهد من اهلها. الشهادة جاءت في قلب امريكا نفسها، وقد اقرت الشهادة بأن ما فعله الجنود الامريكيون في العراق يتعارض مع كل قيم الانسانية وشروط الحرب وحتى استحقاقات و»ضوابط» الاحتلال.

والسائل سيسألهم (الامريكان): كيف تحاسبون افغانستان والعراق عن احداث 11 سبتمبر وتقولون انهم ارهابيون. ها انتم الآن تكشفون بأنفسكم بأن ما وقع من فظاعات في حق المعتقلين العراقيين ليس عملا معزولا ولا هو فردي والدليل على ذلك انكم اقررتم انكم على علم منذ أشهر بفظاعات «أبوغريب».

****في الحقيقة، تعدّ نقطة الانطلاق في هذا الموضوع الاحتلال، ففي كل الازمنة لا يمكن انتظار اقل من تلك الفظاعات ضد الانسانية من كل احتلال، وهذا مبدأ عام ينطوي على حقيقة. فالممارسات هي نفسها وانتفاء الوازع الاخلاقي هو نفسه عبر كل اصناف الاحتلال وبمراحل عديدة من التاريخ، فهل ترى الأمر في هذه الزاوية، خاصة اذا تذكّرنا ما فعلته اسرائيل مثلا بالجنود المصريين الذين دفنتهم احياء؟**

. نحن نسمع وايضا نفترض عن حق ان الاسرائيليين يؤتون افعالا هي جرائم ضد الانسانية. ولكن لم يجر اي تحقيق في البحث عن هذه العملية لأننا نعلم مسبقا ان لا وثائق ولا ادلة مثبتة مثلما هو عليه الامر الآن مع الامريكيين في العراق.

ما دامت الوثائق تنقصك في مثل هذه القضايا فكأنك تحرث في البحر. لكن عملية «أبوغريب» هناك فيديو وصور وشهادات عن هذه الفظاعات واثباتها كان سهلا..

**هناك من يرى، استناد، ان الفظاعات وجرائم الاحتلال بدأت من الامريكان تجاه شعب العراق وكل البلد منذ حرب 1991، وطوال عشر سنوات، حين تهاجم الطائرات وبلا هوادة شعب العراق يوميا تقتل عشوائيا ما تدّعيه اهدافا عسكرية، اذن هل انت معي، بأن المسألة لم تبدأ مع «أبوغريب» حتى يكون الحديث جائزا عن الصدمة والمفاجأة؟

. ليس هناك شكّ في ان ذلك يؤثر على الجنود... ففي العراق اناس يدافعون عن بلدهم... والطائرات نعلم انها تمارس القتل العشوائي في مناطق مدنية حيث تشاهد مئات القتلى... ان هذا الامر يعني الحكومة التي ارسلتهم كسلطة سياسية.

فلماذا هذا الكيل بمكيالين، عندما يقتل امريكي على ايدي المقاومة يصبح في الامر جريمة وحينما يمارس الجندي الامريكي بشهادته القتل الجماعي والعشوائي تصبح حوادث معزولة هذا ان فضح امرها.. في الصحافة... والا فلا جرائم ولا فظاعات ويتحول الاحتلال الى جلّاب ديمقراطية كما يدعون.

ان قانون حماية الجنود الامريكيين من المحاكمة الاجنبية يؤثر على جنود الاحتلال ويصبح القتل والفظاعة امرا عاديا... فهذه معطيات مشجعة له وهي تتراكم في مخيلة الجندي الامريكي وهو يحاول ان ينفّذ كل اصناف الممنوع والاجرام ضد المدنيين والمسلحين على حد سواء.

**أسأل الآن رجل التجربة الطويلة في فن القتال، أليس للحرب ضوابط ونواميس، لماذا تضرب امريكا عرض الحائط بالقانون الدولي الانساني... الى اين يذهب العالم بهذه الطريقة؟

. ان القتل العشوائي لم نعرفه الا عندما دخلت الولايات المتحدة الامريكية الحروب العالمية او الاقليمية. تاريخ امريكا العسكري ليس ناصعا... بل هو أسود.. فعندما دخلت واشنطن الحرب العالمية الثانية، كان آخر فعل مشين في الحرب قد نفذته الآلة الامريكية العسكرية حين رمت «ناغازاكي» و»هيروشيما» بالنووي وكانت الحرب في آخر أيامها بل انها تقريبا حسمت لفائدة الحلفاء... فهذان مدينتان لا علاقة لهما بالحرب، وراح ضحية النووي الامريكي ملايين من البشر في اليابان.. وقتلت الآلة الامريكية ملايين الفيتناميين، وكذلك في حرب كوريا قتلت عشرات المئات بل الملايين وكلها كانت حروبا جوية في جانب واحد...

المدني اصبح في العراق مستهدفا... فهو الذي يمدّ العسكري بالسلاح اذن اصبح قتلهم شريعة امريكية. ان الطائرة الحربية التي تنفث سمومها لا تستهدف واحدا فتقتله بل تقتل المئات والآلاف عشوائيا دون تفرقة. اعتقد ان الذي حدث فظاعة وفضيحة ستجعل الدول الاوروبية تتحرك لإعادة النظر في اتفاقيات جنيف وحماية المدنيين زمن الحرب وزمن الاحتلال.

فما حصل في العراق الآن على ايدي الامريكان يمكن ان يتكرر في دول عربية أخرى. لذلك على العالم ان يتحرك وعلى العرب ان يعوا الحقائق الجديدة..

* *لو تقف الآن على مدرج اكاديمية عسكرية تدرس طلابا في الحربية والعسكرية، وبين ظهرانيك كل هذه الصور الفظيعة كخلفية لعملك، ما عساك تقول لطلابك؟

. نحن طبعا في البلاد العربية ووفق تعاليم ديننا الحنيف، واخلاقيات المهنة العسكرية يقتصر القتال على من يحمل السلاح... نحن لا نقتل راهبا في كنيسته ولا شيخا ولا امرأة ولا طفلا... ولا مديرا... عندنا حدود فاصلة لكن المأساة ان ليس لدى امريكا خطوط فاصلة بين ما هو مشروع وما هو محرم... فاذا كان الامريكيون يعتبرون شارون المجرم مدافعا عن النفس... اعتقد ان لا تقاطع في خطابنا وخطا بهم... لكن للاسف العرب لا يقدرون على نقد امريكا حتى مجرد النقد.. فأمريكا تروج انها تدافع عن نفسها ضد الارهاب، وتقتل عشرات الآلاف انه منطق معكوس.

**اسأل الفريق سعد الدين الشاذلي عن منظمات حقوق الانسان في هذه القضية، لماذا تخلفوا بدرجة عن «سي.بي.آس»؟. هذه منظمات تعمل وفق امكانياتها هي جمعيات، ولكن استطيع ان اقول انها افضل اداء من انظمة عربية عديدة.

****لكن هذه المنظمات كانت على علم بالفظاعات والجرائم، داخل «أبو غريب» لكن لم يبادر احدهم الى عقد ندوة صحفية مثلا وفضح تلك الممارسات؟**

. لقد كشفت هذه المنظمات انها قدمت «لبريمر» وللإدارة الامريكية هذه التقارير ونبهوهم، لكن هذه المنظمات لم تكن لديها صورا ولا فيديو تصور ما بالداخل ولولا ان ضمير بعض الامريكيين مازال حيا وتحرك ليضع الحقيقة بين ايدي الصحافة لما امكن التفطن الى هذه الجرائم.

لكن اقول لك شيئا: علينا ان نتعلّم ان نلوم انفسنا قبل لوم الآخرين. فهي منظمات لها حدود قانونية وليس لها ان تفرض حلولا... وهي شماعة الأنظمة العربية... في هذا المجال..

لقد ضربت لك مثلا عن صدام، لما اربعة من جنوده فعلوا ما فعلوا من سطو في الكويت حوسبوا واعدموا... لكن الدور الآن في انتظار بوش.. سنرى ماذا سيفعل..

مع الاشارة الى ان تلك الجرائم والفظاعات لا يمكن ان يأتيها ستّة جنود فقط.. فهذه جرائم وتتوفر فيها اركان جريمة الحرب... لكن المحصلة لا انتظر شيئا من امريكا فكل شيء جائز معها، الا ان تحزم امتعتها وتخرج من العراق هذا ما لا نتوقعه.. ان امريكا الآن في موقف محرج...

وبالنسبة لمحاكمة صدام.. هي عاجزة الآن عن اثبات اي شيء... فليس هناك محكمة مؤهلة لمحاكمته... هذه قضية شائكة ولا ارى كيف ستتعامل معها واشنطن في ضوء هذه المستجدات والفضائح.. فالولايات المتحدة الامريكية هي الآن في مأزق..

تنبؤ الشاذلى بالحرب الأمريكية

ضد إيران وتداعياتها

قراءة فى الحروب الأمريكية

بعد تفكك الاتحاد السوفيتى، وبعد أن أصبحت الولايات المتحدة هى القطب الأوحد فى النظام العالمى الجديد، شنت الولايات المتحدة خمسة حروب ضد عدد من دول العالم الثالث التى أسمتها بالدول الهادفة لمجرد أن تلك الدول رفضت الهيمنة التى كانت أمريكا تريد فرضها على تلك الدول. وتلك الحروب هى ما يلى:

- حرب الخليج الثانية من 91/1/17 حتى 91/2/28.
- عملية ثعلب الصحراء ضد العراق من 98/12/15 حتى 98/12/18
- الحرب ضد يوغوسلافيا من 2001/10/24 حتى 2001/11/14
- الحرب ضد العراق من 2003/3/19 حتى 2003/4/9

ورغم الاختلاف الظاهرى فى طبيعة العمليات فى كل من تلك الحروب، إلا أنها كانت تتفق فى أسلوب التخطيط وإدارة الحرب من الوجهة السياسية والحربية. ومن هذه الخطط يمكننا أن نكتشف نقاط القوة التى تتمتع بها أمريكا، وكذلك نقاط الضعف التى يمكن للدول والشعوب التى ترفض الهيمنة الأمريكية أن تلجأ إليها.

وإذا كانت الإستراتيجية الأمريكية قبل تفكك الاتحاد السوفيتى مبنية على أساس قدرة الولايات المتحدة أن تقاتل فى جبهتين ضد دولتين من دول العالم الثالث، دون أن يتأثر التوازن العسكرى بينها وبين الاتحاد السوفيتى فى الجبهة الأوروبية، فقد أثبتت حرب الخليج الثانية خطأ هذه النظرية فمن أجل حشد القوات الكافية لضرب العراق، اضطرت أمريكا إلى سحب معظم قواتها التى كانت تتمركز فى الجبهة الأوروبية. وبالرغم من كل ذلك فقد كانت أمريكا فى حاجة إلى دعم عسكرى إضافى من الدول الصديقة المتحالفة معها. وعندما بدأت هجومها ضد العراق، كانت القوات الأمريكية تمثل فقط 50% من حجم قوات التحالف. وهذا يعنى أن أمريكا لا تستطيع وحدها أن تشن حرباً ضد دولة من دول العالم الثالث المتوسطة الحجم، إلا إذا ضمنت مقدماً تأييد جميع أو غالبية دول الـ عالم لها فى هذه الحرب سياسياً وعسكرياً واقتصادياً.

نقاط الضعف الأمريكية

رغم أن أمريكا تتمتع بتفوق ساحق فى مجال القتال عن بعد بواسطة الطائرات والصواريخ، إلا أن هذه القوة الساحقة تحمل فى طياتها نقاط ضعف خطيرة إلا تحولت الحرب إلى قتال عن قرب. ويمكن تلخيص نقاط الضعف الأمريكية فيما يلى:

- تحرص أمريكا قبل أن تقوم بحرب ضد أى دولة من دول العالم الثالث المتوسطة الحجم، على أن تحصل على تأييد دولى على المستوى السياسى والعسكرى والاقتصادى.

- لا تميل إلى استخدام قواتها البرية إلا فى حالات الضرورة القصوى، لأن استخدامها يؤدى إلى خسائر بشرية كبيرة. وبالتالى فإن أكثر ما يزعج أمريكا فى الحروب هو حرب العصابات. وحربها الأخيرة فى العراق هو خير شاهد على ذلك. فطبقاً للأرقام المعلنة بواسطة السلطات الأمريكية، فإن خسائرها فى الحرب النظامية التى استمرت ثلاثة أسابيع 751 قتيل. أما خسائرها نتيجة حرب العصابات ضد قوات الاحتلال الأمريكى من2003/4/10 وحتى 2006/2/20 بلغ 2278 قتيل وأكثر من 8000 جريح. ولا يدخل ضمن هذه الأرقام القتلى من غير الأمريكيين الذين يتعاونون مع سلطات الاحتلال، حيث أنهم أهداف قوات المقاومة ضد الاحتلال.

- لا تستطيع أمريكا أن تتحمل وحدها تكاليف الحرب. وعلى سبيل المثال، فإن تكاليف الاحتلال الأمريكى لأفغانستان والعراق يبلغ 80 مليار دولار سنوياً ويتحمل حلفاؤها 40 مليار دولار أخرى.

- أ مريكا لا تتبع نظام التجنيد الإجبارى. فجميع جنودها من المتطوعين، وبالتالى فإن الجنود الذى يتطوعون للخدمة بالقوات المسلحة الأمريكية هم أكثر الفئات الأمريكية فقراً، وأقلهم حظاً فى الحصول على قدر من التعليم. وهم ينضمون إلى القوات المسلحة الأمريكية، لأن البديل المتاح إليهم هو البطالة. ولكن لا أحد يريد أن يتطوع لكى يموت أو يصاب بعاهة مستديمة من أجل حرب غير عا دلة. ونظراً لازدياد عدد القتلى والجرحى فى العراق نتيجة عمليات المقاومة، فهم يهربون من الخدمة أو لا يقومون

بتجديد تطوعهم عندما يحل موعد انتهاء عقودهم. وقد خلق هذا الموقف صعوبات كبيرة أمام القيادة الأمريكية لكى تستكمل حاجتها من الجنود.

- رغم أن الألغام البحرية هى أرخص الأسلحة، إلا أن استخدامها بكثافة فى الممرات البحرية تسبب إزعاجاً كبيراً للقوات البحرية الأمريكية.

وأن استغلال الدول التى ترفض الهيمنة الأمريكية لنقاط الضعف المذكورة، لا تعنى أنها قادرة على تحقيق نصر حاسم ضد الولايات المتحدة، ولكنها تعنى أنها ترفع ثمن انتصار الولايات المتحدة على تلك الدول، مما قد يردع الولايات المتحدة ويدفعها إلى الإقلاع عن التفكير فى غزو تلك الدول وإخضاعها بالقوة إلى الهيمنة الأمريكية. وهذا هو ما تفعله حالياً كل من إيران وكوريا الشمالية. وهو أيضاً ما تحاول قوات المقاومة العراقية القيام به ضد الاحتلال الأمريكى للعراق.

السلاح النووى وقيود استخدامه

لم يعد إنتاج القنبلة النووية سراً منذ زمن بعيد. ففى عام 1977 تمكن طالب من جامعة بريستون ، يدعى جون فيليبس ، وكان عمره أقل من عشرين سنة، أن يقدم لأستاذه نموذجاً لقنبلة نووية معتمداً على المعلومات الغير محظورة. كانت القنبلة فى حجم الكرة التى يلعب بها المصطافون على الشواطئ. كانت قوتها التدميرية عشرة آلاف طن من المفرقعات التقليدية،وكان تكاليف تصنيعها ألفين فقط من الدولارات (جاء ذلك فى التقرير السنوى المقدم لمجلس الشيوخ الأمريكى عام 2002) ويعتبر هذا النموذج الذى صممه فيليبس , هو النموذج المثالى لم يمكن أن تنتجه الجماعات الإرهابية، أو الدول الغير نووية. وإذا كان الأمر كذلك، فما الذى يمنعهم من إنتاج هذه القنبلة؟ هناك مشكلتان.

المشكلة الأولى هى أن الدول المالكة للأسلحة النووية، تفرض حصاراً شديداً على انتقال المكونات لتلك القنابل إلى الدول الغير نووية. بل أن بعضها يلجأ إلى التدخل العسكرى لإجهاض أى محاولة لتصنيع تلك القنابل النووية. فقد قامت المخابرات الإسرائيلية بعملية تخريب معدات المفاعل النووى العراقى عندما كانت فى المخازن فى فرنسا فى انتظار شحنها إلى العراق فى إبريل 1979. كما قامت الطائرات الإسرائيلية فى 7 يونيو 1981 بتدمير المنشآت النووية العراقية للمرة الثانية فى بغداد. وأنه لمن المؤسف حقاً أن فرنسا التى أنتجت المفاعلين النووين لحساب العراق، هى نفسها التى ساعدت إسرائيل لكى تدمرهما!!

والمشكلة الثانية هى أن من يمتلك السلاح النووى يجب أن يكون لديه القدرة على امتصاص الضربة الأولى، وأن يكون قادراً على توجيه الضربة الثانية إلى الخصم. وهذا يكاد يكون مستحيلاً بالنسبة للدولة، حيث أن المنشآت النووية كبيرة ولا يمكن إخفاؤها، وتعتمد على الخبرات الأجنبية التى لا يمكن أن نضمن ولاء ها. ولكن ذلك لا ينطبق على القنبلة النووية البدائية التى يمكن تصنيعها فى غرفة واحدة كما فعل فيليبس عام 1977.

ومن هنا ظهرت مدرستان حول أسلوب استخدام الأسلحة النووية. تقول المدرسة الأولى أنه لا الدول الغير نووية، ولا الجماعات الإرهابية، ولا الجماعات التى تقاوم الاحتلال الأجنبى بقادرة على تحمل الضربة الأولى ثم تكون قادرة على توجيه الضربة الثانية للدولة التى اعتدت عليها. أما المدرسة الثانية فهى تعارض هذا الرأى. وتقول أنه فى الإمكان تصنيع عشرات القنابل النووية البدائية التى لا يزيد وزن الواحدة منها بجميع مكوناتها عن 25كجم، بطريقة سرية. ثم تهريبها إلى خارج البلاد فى حيازة خلايا نائمة يتم إيقاظها فى الوقت المناسب. فإذا تم ذلك فإن الدول أو الجماعات الجائزة لتلك القنابل المنتشرة فى أماكن كثيرة قادرة على امتصاص الضربة الأولى، وأن توجه ضربات انتقامية مؤلمة للطرف الذى اعتدت عليها.

التحالف الأمريكى الصهيونى ضد إيران

فى خلال عام 1993، حصلت إيران على موافقة الصين على تقديم المساعدة الفنية لبناء محطة كهربائية قوتها 300 ميجاوات على أن تعمل بالوقود النووى. ورغم أن معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية التى صدرت فى مايو 1995 لا تحرم استخدام الذرة فى الأغراض السلمية، إلا أن الرئيس الأمريكى Bill Clinton فرض المقاطعة التجارية على إيران فى إبريل 1995. وكان تبريره لهذا القرار ما يلى:

- إن إيران تسعى لأن تتخذ من وراء اتفاقها مع الصين إلى التوصل إلى التقنيات التى تمكنها من إنتاج الأسلحة النووية.
- وأنها تقوم بتشجيع عمليات الإرهاب الدولى.
- وأنها تعرقل التوصل إلى السلام فى منطقة الشرق الأوسط.
- وأنها تمارس ضغوطاً على أنظمة الدول المجاورة لها.
- وأنها كانت تقوم بتحديث أسلحتها التقليدية.

وازداد الموقف تدهوراً بين إيران من جانب وبين أمريكا وإسرائيل من جانب آخر بعد أن تولى أحمدى نجاد منصب الرئاسة فى إيران. ففى 2005/10/26 قال الرئيس الإيرانى فى خطاب له "إن إسرائيل يجب شطبها من الخريطة. وأن إيجاد عالم خال من أمريكا وإسرائيل يمكن تحقيقه. ومنذ هذا التاريخ بدأ العد التنازلى لقيام كل من أمريكا وإسرائيل – وبدعم أوروبى – بتوجيه ضربة قوية ضد إيران. والصراع الذى يدور الآن هو: كيف ستكون هذه الضربة. هل تكون على شكل غزو إيران كما كانت الحالة بالنسبة لأفغانستان وبالنسبة للعراق. أم يكون على شكل قصفات جوية وصاروخية، يتم خلالها تدمير جميع المنشآت النووية الإيرانية، بالإضافة إلى تدمير البنية التحتية وفى اعتقادى فإن الحل الثانى هو الحل المتاح.

الخطة الإيرانية للتصدى

إذا افتراضنا أن الخطة الأمريكية ضد إيران ستكون على شكل ضربات جوية وقصفات صاروخية توجه إلى أهداف من بعد. وان هذه الهجمات قد تستمر إلى أسبوعين تقريباً .. فإن عناصر الخطة الإيرانية سوف تعتمد على ما يلى:

- **تعزيز الدفاع الجوى لإسقاط أكبر عدد ممكن من الطائرات والصواريخ.**
- **توجيه ضربات انتقامية ضد إسرائيل.**

وإذا استعرضنا الإمكانيات الدفاعية المعروفة لدى إيران، فإننا نجد أنه ليس لديها دفاع جوى قوى يمكن أن يتصدى للطائرات والصواريخ التى تهاجمها. أما بخصوص الضربات الانتقامية ضد إسرائيل فنحن نعلم أن إيران تمتلك صواريخ أرض ذات مدى يمكن أن تصل إلى إسرائيل. ولكن هذه الصواريخ لا تحمل رؤوسا نووية، وأقصى ما يحمله كل صاروخ هو طن واحد من المفرقعات التقليدية، وهى كمية محدودة لا يمكن أن تشكل قوة درع بالنسبة لإسرائيل.

وهذا ما يثير حيرة المحلل السياسى والمحلل العسكرى عندما يسمع التصريحات النارية التى تصدر من الزعماء السياسيين والقادة العسكريين الإيرانيين، والتى تنذر كلا من أمريكا وإسرائيل بعظائم الأمور إذا ما فكروا فى الهجوم على إيران.

- هل توصلوا إلى إنتاج أسلحة دفاع جوى فعال يمكن أن يسقط الطائرات والصواريخ التى ستهاجمهم.
- هل سيقومون بعمليات استشهادية ضد الأهداف البحرية والبرية.
- هل سيقومون بعمليات استشهادية ضد أهداف أمريكية وإسرائيلية خارج إيران.
- هل سيشعلون النيران فى حقول البترول.

وفاة سعد الدين الشاذلى

توفي بطل ومهندس حرب أكتوبر المجيدة رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية الفريق سعد الدين الشاذلي يوم الخميس 7 ربيع الأول 1432 هـ الموافق في 10 فبراير / شباط 2011م، بالمركز الطبى العالمي التابع للقوات المسلحة، عن عمر بلغ 88 عاماً قضاها في خدمة وطنه بكل كفاءة وأمانة وإخلاص، وقد جاءت وفاته في خضم ثورة 2011 في مصر، وذلك بعد معاناة طويلة مع المرض، وقد شيع في جنازة عسكرية وشعبية مهيبة بعد صلاة الجمعة.

كانت جنازته في نفس اليوم الذي أعلن فيه عمر سليمان تنحي الرئيس حسني مبارك عن منصبه كرئيس للجمهورية.

أعاد المجلس العسكري نجمة سيناء لأسرة الفريق الشاذلي بعد تنحي الرئيس حسني مبارك بأسبوعين.

مؤلفاته

- حرب أكتوبر
- الخيار العسكري العربي
- الحرب الصليبية الثامنة
- أربع سنوات في السلك الدبلوماسية

المصادر والمراجع

- المعارك الحربية على الجبهة المصرية" . جمال حماد . القاهرة ص 88 ،90.
- حرب أكتوبر فى محكمة التاريخ" . عبد العظيم رمضان . مكتبة الأسرة . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . ص 44.
- من أوراق السادات. أنيس منصور "" الطبعة الرابعة 2010 دار المعارف . القاهرة . ص 161.
- المعارك الحربية على الجبهة المصرية" . جمال حماد . دار الشروق . القاهرة . الطبعة الأولى 2002. الصفحة 27
- مذكرات اللواء حسين الجمسى . عبدالعظيم رمضان . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . 1989 .
- مذكرات حرب أكتوبر . سعد الدين الشاذلى. دار البحوث والشرق الأوسط الفرنسية . سان فرانسيسكو . 2003 .
- الفرص الضائعة . أمين هويدى– "" طبعة 1992 ص 288) .
- البحث عن الذات . محمد أنور السادات . الدار المصرية للنشر والتوزيع . القاهرة . 1979

فهرس